وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الحياة الاجتماعية للفقهاء من خلال كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض 476-544هـ / 1038-1149م

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبتين:

- مريم عين قراد
- زهرة بوحمامة

تحت إشراف الأستاذ:

- عبد العزيز حاج كولة

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. توفيق عبد الصمد مزاري	رئيسا
أ. عبد العزيز حاج كولة	مشرفا ومقررا
د. عبد الصمد حمزة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1442هـ/2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع الذي نسأله أن يكون خالصا لوجهه الكريم ، كما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل المشرف: "عبد العزيز حاج كولة" على توجيهاته ونصائحه، ولا ننسى شكر كل من ساهم في تقديم يد المساعدة لنا أثناء هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد، و الشكر موصول أيضا لأساتذتنا الكرام الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

إهـــــــــــــــــــــــــــــــداء:

أهدي هذا العمل إلى من كان لها الفضل في وصولي لما أنا عليه الآن إلى قطعة من روحي إلى أمي حفظها الله .

وإلى من كان نعم السند وأعز رجل أمد يد العون عند الحاجة أبي الفاضل حفظه الله وأطال في عمره.

وإلى أقرب الناس إلى قلبي أخواتي: إيمان- سهام- أحلام .

وإلى نور عيوني: آدم- ميار- رنيم .

وإلى من شاركتني هذا البحث إلى صديقتي : زهرة وفقها الله إلى كل ما تحب وسدد خطاها بالنجاح والتوفيق.

مريـــــــــــــــــــــــــــــــم

إهـــــــــــــــــــــــــــداء:

أهدي هذا العمل إلى نبع الحنان والدي العزيزان، اللذان أدعو من الله عز وجل أن يحفظهما ويطيل في عمرهما.

وإلى إخوتي الكرام حفظهم الله، وإلى صمصوم قلبي نوح و إلياس .

وإلى جميع صديقاتي وخاصة: إلهام، حكيمة

وإلى من شاركتني هذا العمل صديقتي : مريم.

زهـــــــــــــــــــــــــــرة

مقدمـــــــــــــــــــــــة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،محمد المصطفى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :

لقد أولى الإسلام العلم الشرعي وحملته مكانة عالية ، وأعلى من شأن حاملي هذا العلم ، فقال عز وجل: " **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الألْبابِ** " [سورة الزمر :الآية :09] وسبب هذه الرفعة التي خص الله تعالى بها هذه الفئة من الناس هو العلم الشرعي و خشية الله تعالى ، ونظرا لهذه المنزلة الجليلة التي حظيت بها تلك الفئة من الناس ، والتي كان لها الدور المهم والبارز في المجتمع ، الذي ظهر جليا من خلال التفاف جميع طبقات المجتمع حول هذه الفئة ، بمن كان في دائرة الحكم والسلطة إلى أدنى طبقات المجتمع ، ونتحدث هنا وبلا شك عن شريحة مهمة في المجتمع ألا وهي شريحة الفقهاء ، إذ تزودنا كتب التراجم بمعلومات قيمة عن هذه الفئة ، باعتبارها الموروث الثقافي الذي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه ، ولعل من أبرزها كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض ، والذي يعتبر من بين أهم المصادر التي أرخت لفقهاء المالكية ونحاول من خلال دراستنا هذه الكشف عن بعض الجوانب من حياة فقهاء المذهب المالكي على الصعيد الاجتماعي والتي نستقيها من خلال كتاب ترتيب المدارك السالف الذكر تحت عنوان : "الحياة الاجتماعية لفقهاء المالكية من خلال كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (476ه، 544ه /1038م ،1149م).

أسباب اختيار الموضوع تمحورت بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي :

الأسباب الذاتية :

– الميل إلى مثل هذا النوع من المواضيع التي تتمحور حول نمط الحياة الاجتماعية للفقهاء ، بمختلف جوانبها نذكر منها العلاقة بين أفراد الأسر ، اللباس ، الأكل ... بالإضافة إلى العلاقة التي تجمعهم بمجتمعهم والاطلاع على أهم أعمالهم التي زادتهم صلة بهم كل هذا فتح لنا باب الاطلاع عليهم .

– الرغبة في الاطلاع على شخصية القاضي عياض وأهم ما جاء في كتابه ترتيب المدارك .

– توسيع مداركنا الفكرية والعلمية من خلال دراستنا لهذا الموضوع .

الأسباب الموضوعية :

– قلة الدراسات العلمية التي تناولت كتاب ترتيب المدارك من الناحية الاجتماعية .

– حاجة المكتبة التاريخية لمثل هذا النوع من الدراسة ، والتي تستخلص عن كتب التراجم و الطبقات التي لا تقل أهمية عن كتب التاريخ السياسي .

– أهمية كتاب " ترتيب المدارك " في التاريخ على الرغم من أنه يتناول تراجم فقهاء وعلماء إلا أنه اشتمل على مادة تاريخية وحضارية ودينية على قدر كبير من الفائدة .

أهمية الدراسة :

تتجلى أهمية هذا الموضوع بداية في إبراز شخصية فذة تتمثل في شخص القاضي عياض والذي كان له دور كبير في تسجيل مآثر العديد من الأعلام الذين نبغوا في كل فن ، وكذلك إظهار قيمة كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك الذي يعد من أهم المصادر وأحسنها لاسيما من الناحية المنهجية ،فتراجم الكتاب لم تقتصر على ذكر حياة المترجم له وميلاده ووفاته ، بل تعدى ذلك إلى فنون من المعرفة كالتاريخ والفقه وأحكام بعض القضاة واجتهاداتهم وأخبار الزهاد و العباد ويتخلل ذلك بعض الملح و الطرائف ... وتظهر أهمية الكتاب أيضا في محاولة الكشف عن الواقع أو المستوى المعيشي لفقهاء المالكية ، بالإضافة إلى أهم الأدوار التي قاموا بها على المستوى الثقافي و الاجتماعي .

وتمثلت إشكالية الدراسة فيما يلي :

– إلى أي مدى ساهم القاضي عياض في رسم صورة الحياة الاجتماعية لفقهاء المالكية في كتابه ترتيب المدارك ؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات تمثلت في :

– من هو القاضي عياض ؟ وما هي الظروف المحيطة بشخصيته وبتكوينه الثقافي ؟ وما هي أهم المصادر التي اعتمدها في كتابه ؟

– بماذا تميزت الحياة الاجتماعية لفقهاء المالكية ؟ وما هي أهم الخصائص التي عرفها مستواهم المعيشي ؟

– ما مدى امتثال السلطة والمجتمع لهاته الفئة ؟

– ما هو الدور الذي لعبه هؤلاء في الحياة الاجتماعية ؟ وكيف كان دورهم في تنشيط الحركة الثقافية ؟

الدراسات السابقة :

رغم أهمية كتاب " ترتيب المدارك " للقاضي عياض وما يحويه من معلومات تاريخية قيمة، إلا أننا لا نجد دراسة علمية مفصلة تتناول هذا الكتاب بالبحث والدراسة ، ولكن هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت بعض جوانب هذا الموضوع وهي :

رسالة دكتوراه "للبشير علي حمد الترابي" بعنوان" القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية " تناول فيه المؤلف شخصية القاضي عياض وحياته العامة وشيوخه ومؤلفاته وجهوده في علم الدراية ، ثم تحدث عن ترتيب المدارك ، حيث عرف بمدارك عياض و أشار إلى ما تضمنه الكتاب إلا أنه لم يتطرق إلى الناحية الاجتماعية من هذا الكتاب ".

وهناك بعض الدراسات التي تناولت شخص القاضي عياض في حد ذاته ، و لم تفدنا كثيرا فيما يتعلق بكتاب ترتيب المدارك ، لأنه ذكر فيها على شكل مؤلف له ، دون الفصل فيما جاء في الكتاب .

المنهج المتبع في الدراسة :

إن المنهج الذي اتبعناه أثناء عرضنا للموضوع هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، فتطرقنا في المرحلة الأولى إلى استقراء المادة التاريخية من المصادر المتعلقة بالموضوع واستخلاص ماله علاقة به ، واعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي أثناء عرض الحياة الاجتماعية للفقهاء من زواج وأكل وسكن ... من خلال تحليل وتركيب الأحداث الماضية المسجلة في كتب التراجم والطبقات ومحاولة وصفها وتحديد خصائصها .

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة وضعنا الخطة التالية المتكونة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

– تناولنا في المبحث الأول السيرة الذاتية للقاضي عياض ، وقد تطرقنا فيه إلى ذكر نسبه ونشأته وأيضا قمنا بدراسة حياته الخاصة والعامة ، ومراحلها ورحلاته العلمية ، وذكرنا أيضا أهم مصنفاته ، وعرجنا بإطلالة على المغرب في عصره ، والمحنة التي تعرض لها بسبب عقيدته السنية ، ولقد اختط القاضي عياض لنفسه منهجا

خاصا حدده بدقة في مقدمة كتابه ، وذكرنا كذلك أهم المصادر التي اعتمد عليها ، وانتهينا إلى ذكر أهمية الكتاب في الدراسات التاريخية .

– أما المبحث الثاني فكان تحت عنوان مظاهر الحياة الاجتماعية للفقهاء وتحدثنا فيه عن أهم الجوانب التي تخص الحياة الخاصة و العامة للفقهاء ، بداية بالتطرق إلى حياتهم الأسرية من زواج ، وعلاقتهم مع أبنائهم إلى أسلوب معيشتهم من لباس وأكل ، وأهم الحرف والصناعات التي زاولوها ، وانتهينا إلى ذكر مكانتهم عند الخاصة والعامة ومظاهر التأثير العلمي لهم على الجانب الاجتماعي الأمر الذي جعلهم يتقلدون مناصب مهمة في الدولة وتحدثنا أيضا عن المحن والبلايا التي تعرضوا لها .

– أما المبحث الثالث فقد عنوناه بدور الفقهاء في الحياة الاجتماعية ومن أبرز الميادين التي تحدثنا عنها وكان لهم فيها دور كبير الميدان التعليمي ، بحيث حرصوا على الإلقاء و الإسماع ، وارتحلوا إلى العديد من المناطق بغية تحصيل العلم وتعليمه فيما بعد للطلبة ، وتحدثنا أيضا عن موقف الفقهاء من المثل الأخلاقية للمجتمع ودفاعهم عنها وذلك بالدعوة و الممارسة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم ينتقل المبحث للحديث عن مساهمة الفقهاء في الأعمال الخيرية من خلال صدقات التطوع ، ويلاحظ في هذا الخصوص محدودية النصوص ، ولعل السبب يعود إلى تأكيد الشريعة الإسلامية على إخفاء صدقات التطوع ، ولقد لاحظنا أن الفقهاء لا ينفردون بمثل هذه الأعمال عن بقية أبناء المجتمع ، وإنما تميزوا على غيرهم بجملة من العوامل وتطرقنا أيضا إلى معاملة الفقهاء المالكيين لأهل الذمة .

عرض أهم المصادر والمراجع :

1) المصادر :

أما المصادر التي اعتمدها في هذه المذكرة فكثيرة ومتنوعة تأتي في طليعتها كتب التراجم .

أولا : كتب التراجم والطبقات :

– كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض اليحصبي (ت544ه/1149م) ، وهذا الكتاب التي ارتكزت عليه جل دراستنا ، كونه المصدر الرئيسي لموضوع بحثنا والكتاب مخصص للحديث عن الإمام مالك وتلاميذه وأتباعه في جميع أرجاء العالم الإسلامي ، فهو لا يكتفي

بالترجمة بما اعتاد معظم كتاب التراجم عليه ، بل نجده يذكر كل ماله علاقة بصاحب الترجمة ، ويتحدث خاصة عن نشاطه السياسي والاجتماعي والعلمي ، وحتى الأمور الخاصة والطرائف والملح والنوادر ...

- كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب للقاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (799ه / 1396م) والذي أفادنا خصوصا في المبحث الثاني والثالث وأخذنا منه بعض التراجم لفقهاء المالكية وأفادنا في جل النقاط التي تناولنها .

-كتاب الصلة ، لأبي القاسم ابن بشكوال ، الذي انتقينا منه ترجمة العديد من الفقهاء وبيّن أيضا الرحلة التي كانت للقاضي عياض إلى الأندلس .

-كتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، لأبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت361ه / 971م) الذي أفاد البحث من خلال عرض حال الفقهاء في مجال القضاء أمثال يحي بن يحي الليثي الذي رفض هذا المنصب ، وأيضا كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين ، لنفس المؤلف استفدنا منه في الرحلات العلمية التي كانت للفقهاء .

- كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، وقد أفادنا كثيرا في هذه الدراسة وأخذنا عنه ترجمة العديد من الأعلام ، أشار إلى بعض الحرف التي امتهنها بعض الفقهاء مثل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بالجزار الذي قال عنه أنه كان طبيبا .

ثانيا : كتب التاريخ :

-كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي (ت712ه/1312م) الذي أفادنا في ذكر الأحداث السياسية التي شهدها عصر القاضي عياض .

- كتاب تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر الجزء السادس ، أفادنا في بعض المعلومات عن قبائل البربر، إضافة إلى أهم الأحداث السياسية التي عرفها عصر القاضي عياض مثل الثورة التي قامت بسبتة بفضله .

– كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد التلمساني المقري (1041ه / 1631م) ، الذي أفادنا في ترجمة القاضي عياض والكتاب في خمسة أجزاء ، وفيه ترجمة واسعة استوعبت كل ما يخص القاضي عياض وقد أفادنا كثيرا في التعريف به .

ثالثا : كتب الجغرافيا :

– كتاب معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، الذي أفادنا في التعريف ببعض مناطق المغرب الإسلامي ، إضافة إلى بعض الأماكن التي سكن بها بعض الفقهاء .

- كتاب الاستبصار ، لمؤلف مجهول ، وأفادنا كذلك في التعريف بالكثير من المناطق .

– كتاب روض المعطار ، لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت727ه / 1326م) والذي أمدنا ببعض المعلومات الجغرافية حول العديد من المناطق .

2) المراجع :

– كتاب القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته لمؤلفه الحسين بن محمد شواط ، الذي احتوى على دراسة خاصة لحياة القاضي عياض ، وقد أفادنا في معرفة القاضي عياض .

– كتاب القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية لمؤلفه البشير علي حمد الترابي ، واستفدنا منه في المكانة العلمية للقاضي عياض وفي العديد من النقاط التي خدمت المواضيع .

– كتاب السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض لأحمد جمال العمري واستفدنا منه في الجزء الأول من البحث .

– كتاب الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9م/ 10م) لجودت عبد الكريم يوسف ، واستفدنا منه في بعض النقاط التي تخص الحياة الاجتماعية لفقهاء المالكية ، وإن كانت قليلة جدا .

3) المجالات :

– مجلة المناهل ، العدد19 ، واستفدنا فيه من خلال مقال محمد العربي الخطابي ، والذي تحدث فيه عن أبرز النقاط التي تخص القاضي عياض واستفدنا منه فيما تعلق بعصر القاضي عياض .

– مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،العدد02، س2020 ، مقال إكرام بن عيسى ، مخطوط مختصر المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض لمؤلفه عبد الله بن جمادة السبتي ، واستفدنا منه في عصر القاضي عياض .

والعديد من المصادر والمراجع التي لا يمكن حصرها .

– **الصعوبات :**

– صعوبة الإلمام بالمعلومات من كتب التراجم و الطبقات كونها تأتي على شكل إشارات فقط.

– محدودية الدراسات التي تناولت الموضوع وقلتها ، وإن وجدت فصعوبة الحصول عليها مما لم يسعفنا بإمكانية الاطلاع على كل جوانب الموضوع وخفاياه .

– وانتهى البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي خلص إليها الموضوع .

المبحث الأول :التعريف بالقاضي عياض وكتابه ترتيب المدارك .

أولا : ترجمة القاضي عياض .

1- نسبه و نشأته .

2- نشاطه العلمي .

3- عياض قاضيا .

4- عصره ومحنته .

ثانيا : دراسة كتاب ترتيب المدارك .

1- الدراسة الظاهرية للكتاب .

2- محتوى الكتاب .

3- منهجه ومصادره .

4- أهمية الكتاب في الدراسة التاريخية .

المبحث الأول: التعريف بالقاضي عياض وكتابه ترتيب المدارك

أولا: ترجمة القاضي عياض

1. نسبه ونشأته :

هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي[1]، السبتي[2]، هكذا ذكر نسبه الشيخ أبو القاسم الملاحي وعمرون، ثبت عنده بنون بعد الواو[3]، وعرفه مؤلفون آخرون بأنه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي[4].

وقال ابنه محمد: وكان عمرون والد جد أبي رحمة الله على جميعهم، رجلا خيرا صالحا من أهل القرآن، حج إحدى عشر حجة، وغزى مع أبي عامر غزوات كثيرة وانتقل إلى مدينة فاس.[5] إلى مدينة سبتة بعد دخول بني عبيد المغرب.[6] الإمام العلامة القاضي عياض يكنى أبا الفضل سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل[7].يقول محمد بن عياض استقر أجدادنا في القديم بالأندلس جهة بسطة[8]، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس وكان لهم استقرار

---

[1]- اليحصبي(يحصب) يحصب بن مالك: مثلثة الصاد: حي بها، أي باليمن، وهو من حمير، ويحصب أخوذي أصبح جد الإمام مالك رضي الله عنه ، وقيل هي يحصب، ويحصب قلعة بالأندلس سميت بمن نزل بها من اليحصبيين من حمير، فكان الظاهر فيه التثليث أيضا كما جرى عليه مؤرخو الأندلس منها القاضي عياض بن موسى اليحصبي،أنظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي , تاج العروس من جواهر القاموس ,تح:علي هلالي ، مطبعة حكومة الكويت ,ط2 , 1407ه/ 1987م ,ج2 ,ص286-287

[2] - السبتي : نسبة إلى سبتة التي ولد فيها ونشأ بين ربوعها ، وهي مدينة مشهورة بالمغرب ، انظر : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دط ، دار صادر ، بيروت ، 1970، مج03، ص485.

[3] – شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: إبراهيم الابياري وآخرون، مطبعة فضالة للنشر، د ط، الرباط1398، ه/1978م، ج 1، ص 23.

[4]– ابن خلكان، المصدر السابق ،ج03،ص483. انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب،ج02،ص46، الضبي ،بغية الملتمس، ج01،ص572، الزركلي ،الأعلام،ج 04،ص 99،ابن عماد ،شذرات الذهب،ج06، ص227،226 ،محمد بن محمد بن مخلوف ،شجرة النور الزكية،ص141،140، ابن بشكوال الصلة،ج02،ص661،660 ،الذهبي، سير أعلام النبلاء،ص213، ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، مج 04،ص 222،ابن خاقان، قلائد العقيان،ص68.

[5]– فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كله عيونا تسيل ...أنظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ,معجم البلدان ,دط,دار صادر ,بيروت, ج04،ص230.

[6]– محمد بن عياض، المصدر السابق، ص3، المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج 1، ص 28.

[7]– ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث ،د ط، القاهرة ، ج 2، ص46.

[8]– بسطة: مدينة بالأندلس بالقرب من واد آش، وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة آهلة حصينة ذات أسوار وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات وبينها وبين جيان ثلاث مراحل، وهي مشهورة بالمياه والبساتين، أنظر : محمد بن عبد المنعم الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح:إحسان عباس ، ط1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975م، ص113.

بالقيروان لا أدري، أقبل استقرارهم بالأندلس أم بعد ذلك.[1] ويقول الذهبي: تحول جدهم من الأندلس إلى فاس ثم سكن سبتة.[2]

– مولده ووفاته:

ولد القاضي عياض بسبتة حسب ما كتب إلي ابن بشكوال بخط يده في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة للهجرة[3]. وتوفي بمراكش[4] في شهر جمادى الأخيرة، وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل أنه مات مسموما، سمه يهودي ودفن رحمة الله عليه بباب إيلان داخل المدينة.

– مكانته وصفاته :

يعتبر القاضي عياض من مشاهير علماء المسلمين في المشرق والمغرب على حد السواء، رغم أنه لم يرتحل إلى المشرق فيقال (لولا عياض لما عرف المغرب) هذه الكلمة شاعت على ألسن الناس في المغرب قديما من غير أن تنسب لقائل بعينه، وتناقلها الناس وسموها من غير اعتراض عليها وهي بذلك تعبر عن مكانة عياض لدى اهل المغرب.

وكتاب الشفا العظيم هو الذي زاد من شهرة القاضي عياض الذي طار في كل الآفاق، ومن أجل هذا قيل لولا الشفا ما ذكر عياض[5] .

ولعل من أجّل الصفات التي قالها الأئمة والعلماء في شخصية القاضي عياض :

---

[1]– شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي, سير أعلام النبلاء، تح :شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة، ط1،بيروت، 1405ه/1985م، ج 20، ص 212.

[2]– ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1397ه/1977م، مج4، ص 232.

[3] – أبي القاسم ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم .وأدبائهم، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط 1، 1410ه/1989م، مج2، ص 660،661.

[4]– مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من أختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة 470ه، وبينهما وبين جبل درن الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ وهو في جنوبيها، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان مج 5، ص94.

[5]– البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية،ط1، دار ابن حزم،بيروت, 1418ه/1997م، ص96.

– الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي: عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي الحافظ[1].

– ويقول الحافظ ابن الآبار كان لا يدرك شاؤه ولا يبلغ مداه في العناية بالحديث والآثار وخدمة العلم، مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه، إلى اطلاعه بالأدب وتحققه بالنظم والنثر و مهارته بالفقه وبالجملة فكان جمال العصر ومفخرة الأفق وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة وإذا عدت رجالات المغرب فضلا على الأندلس حسب فيهم صدرا[2].

– وقال عنه ابن الخلكان: كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم [3].

– وما قاله عنه ولده محمد بن عياض: نشأ القاضي على عفة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبا للعلم حريصا عليه، مجتهدا فيه، معظما عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والإختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه، وبلغ من التفنن في فنون العلم ماهو معلوم...الخ.[4]

والقاضي عياض هو أهل لكل ما قيل فيه من أوصاف، فهو الفقيه القاضي الحافظ المفتي الذي أبدع في التأليف في مختلف العلوم فكانت صورة جسدت شخصيته .

2. نشاطه العلمي:

نشأ عياض طالبا للعلم، محبا له، حريصا عليه، مجتهدا فيه، وهذا ما تظهره المصادر على وصفه بالذكاء والفطنة، والفهم والحذق وهذه المؤهلات رفعت من شأن القاضي عياض في مراتب عالية في العلم والفضل والأدب، فدرس عياض في بلده –سبتة– مسقط رأسه وبدأت مسيرته العلمية من هناك تنبع على يد شيوخ عصره فنضجت سيرته العلمية قبل أن يغادر بلده في رحلاته المتعددة في سبيل العلم والمعرفة.

فحفظ ببلده القرآن بقراءاته السبع، برواية نافع، وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء، وابن عامر أخذ هذه الروايات بطرقها المختلفة المعروفة عن عبد الله بن إدريس بن سهل المقرئ، (ت515ه/ 1122م)[5].

---

[1] – الذهبي، تذكرة الحفاظ، دط ، دار الكتب العلمية ,بيروت ,1377ه/1958م، ج04 ,ص1307،1304.

[2] – عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ،فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ،تح :إحسان عباس ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1402ه/1982م،ص797.

[3] – ابن الخلكان، المصدر السابق، ج 3، ص 483.

[4] – محمد بن عياض، المصدر السابق، ص05.

[5] – أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ، تح: ماهر زهير جرار, ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1402، ه/1982م، ص157.

وقرأ اللغة العربية متنها وأدبها في الكتاب الفصيح لأبي العباس ثعلب القالي، والكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ، ودرس قواعدها في كتاب الجمل للزجاجي، والواضح لأبي بكر الزبيري، ، والإيضاح لأبي علي الفارسي، وشرح الجمل لابن فضال.[1]

أما أصول الفقه وأصول الدين وعلم الكلام [2] على مذهب أبي الحسن الأشعري[3]، والجدل والمناظرة، وقرأ أصول الدين على قاضي سبتة عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن قاسم اللخمي(ت 513ه/ 1120م)[4] وصحب عبد الغالب ابن يوسف السالمي(ت 516ه/ 1123م) المتكلم على مذهب أهل السنة من الأشعرية، مدة إقامته بسبتة[5].

وأخذ علم الحديث بسبتة أيضا متنه و غريبه ورجاله ومصطلحه فقرأ للإمام مالك الموطأ[6] ومسند الموطأ لأبي قاسم الجوهري، وصحيح البخاري، وعلوم الحديث للحاكم[7]، وكتاب الطبقات لمسلم الحجاج صاحب الصحيح[8]، وكتاب الطبقات له وكتاب التقصي لابن عبد البر، والمؤتلف والمختلف للدارقطني،...وغيرها من الكتب .

أما الفقه المالكي فدرس رسالة ابن أبي زيد[9]، والمدونة[10]، وتأليفا في الأيمان اللازمة للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري، قرأ عليه بسبتة عند مروره بها[11].

وبهذا احتضن القاضي عياض في بيئة علمية زاخرة بكبار علمائها وأئمتها درس وتعلم عندهم أفضل العلوم.

---

[1]- أحمد جمال العمري، السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض،ط1، دار المعارف، القاهرة، 1988م، ص41.

[2] – أن القاضي عياض كان متكلما أصوليا وكان لا يرى الكلام في ذلك إلا عند نازلة، وعلم الكلام منذ نشأته، يعني الحجاج عن العقيدة والمناظرة عليها، ثم إشتهر بين أهل السنة إستعماله في معنى الحجاج عن العقيدة السنية بالأدلة البرهانية العقلية، والرد على المخالفين لهم فيها، فالمحاجة والمناظرة جزء من مفهوم علم الكلام، احمد جمال العمري ،المرجع السابق ،ص26.

[3]- البشير حمد الترابي ،المرجع السابق ،ص91.

[4] – القاضي عياض، الغنية,المصدر السابق، ص155.

[5] – نفسه، ص116.

[6]-نفسه،ص29.

[7]- نفسه،ص40.

[8]- نفسه ،ص40.

[9]- نفسه ، ص44.

[10]- نفسه،ص47.

[11]- نفسه ،ص66.

3. رحلاته:

أ.رحلة الأندلس :

أكمل عياض مسيرته العلمية عن طريق الرحلات التي كانت بين بلدان المغرب، من أجل أخذ العلم وتسجيله وروايته، وكانت أولى الرحلات التي قام بها هي الرحلة إلى الأندلس، التي كانت موطن أجداده،وكانت سبتة على اتصال وثيق بالأندلس منذ أيام عبد الرحمان الناصر حيث كانت ولاية تابعة للأندلس.

ذكر ابن خاقان عند حديثه عن أبي الحسن علي التنوخي أنه لقي القاضي عياض بأشبيلية عام ثمانية وتسعين وأربعمائة للهجرة[1].

ويبدو أن القاضي عياض قد سبق له الرحلة إلى بلاد الأندلس ولكن لم تكن هذه الرحلة معروفة ومشهورة.

قال محمد بن عياض بأنه رحل إلى الأندلس وكان خروجه من سبتة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة[2]. فلما وصل عياض إلى الأندلس قاصدا قرطبة حاضرة العلم والعلماء، وذلك في يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة بعده[3]، فأخذ بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا، وكان له عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده [4] فأخذ عن أبي الحسن بن سراج، وعن أبي محمد ابن عتاب[5]، وابن الحاج[6] وغيره من الشيوخ.

ثم خرج منها إلى مرسية[7] يوم الاثنين لخمس باقيين من المحرم سنة ثمان من التاريخ فوصل مرسية يوم الثلاثاء الثالث من صفر بعده، فوجد أبا علي الحافظ الحسين بن محمد الصدفي مختفيا فأقام بقية صفر وربيع الأول يقابل كتبه أثناء ذلك بأصول الحافظ أبي علي إلا أن وصل كتاب قاضي الجماعة أبي محمد بن منصور

---

[1]– احمد جمال العمري ،المرجع السابق ،ص47.

[2]– محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص06.

[3]– نفسه،ص06.

[4] – ابن خلكان ،المصدر السابق ،ص484.

[5]– ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ص74.

[6]– القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص117.

[7]– مرسية :مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمان ا بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمر الشام فاستمر الناس على اسم موضعها الاول وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها ،انظر :ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ص107.

بحل القاضي أبي علي عن القضاء ووصل كتابه لأبي رحمة الله على جميعهم معلما له بذلك إذ كان يكرم عليه، وعلم برحلته إليه فخرج أبو علي من اختفائه ،وجلس للتسميع ،فسمع عليه كثيرا ولازمه وكان له به اختصاص، فحصل له مسموع كثير في مدة يسيرة[1].

ولقي في رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس، وأجازه أبو علي الجياني، وشريح، والقاضي ابن شبرين، وغيرهم من أعلام غربي الأندلس[2] ، وكذلك من أعلام شرق الأندلس[3].

وأجازه أبو عبيد الله المازري[4]، وأبو بكر الطرطوشي[5]، وغيرهم من أهل إفريقية و مصر والحجاز[6].

وبعد خروج عياض من مرسية قصد غرناطة[7]، وفي غرناطة عاود الاتصال ببعض الشيوخ مثل: أبي الحسين علي بن محمد الأنصاري، المعروف بابن درى، الذي يقول عنه عياض: إنه كان له نظر بالعلوم القديمة، وكان لعياض معرفة به، إذ سبق لابن درى أن سكن سبتة[8].

ثم غادر غرناطة قاصدا قرطبة[9] من جديد، ليلتقي بشيخه ابن سراج[10]، وليودع أصدقائه[11].

وبعدها غادر إلى بلده سبتة ليلة السابع من جمادى الآخرة من سنة ثمان وخمسمائة (508ه/ 1115م) وقد مكث في رحلته هذه حوالي سنة وشهر تقريبا[12].

---

[1]- محمد بن عياض ، المصدر السابق ،ص06،05.

[2]- نفسه ،ص09.

[3]- نفسه ،ص09.

[4]- نفسه ،ص09.

[5]- ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج02،ص،الغنية ،ص62،الديباج المذهب ،ص47.

[6]- محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص09.

[7]- غرناطة : معنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحينه بذلك وهي أقدم مدن كور البيرة من أعمال الأندلس واعظمها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الأن بنهر حدارة ،انظر : ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ص195.

[8]- احمد جمال العمري ،المرجع السابق ، ص51.

[9]- قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ،وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك السقع ،وبينها وبين البحرخمسة أيام ،انظر : ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ص324.

[10]- القاضي عياض ،المصدر السابق ، ص108.

[11]- احمد جمال العمري ، المرجع السابق ، ص51.

[12]- نفسه ، ص51.

- ويبدوا أن القاضي عياض لم تكن له رحلة إلى المشرق نتيجة العديد من العوامل والأسباب رغم شوقه الكبير إلى زيارة بيت الله .

4. شيوخه:

لقد حظي القاضي عياض بنصيب وافر من العلم والمعرفة في شتى العلوم الأمر الذي أكسبه شهرة واسعة في مختلف الأرجاء، ويعود الفضل في ذلك إلى شيوخه الذين تلقى عنهم العلم وسمع منهم وأجازوه، سواء من مشايخ بلده بسبتة مسقط رأسه، أو من المشايخ الذين لقيهم أثناء رحلته بالأندلس إلى جانب الشيوخ الذين حلوا ببلاد المغرب والأندلس من المشرق.

وقد تكفل القاضي عياض بذكر مشايخه وأخبارهم في مشيخته التي أسماها الغنية، ذكر فيها حوالي من مئة شيخ ممن سمعه وأجازه من :

أ- سبتة:

- الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي(ت551ه/ 1157م): أجل شيوخ بلده سبتة،وله ثلاث رحلات إلى الأندلس، سمع من الجياني وابن الطلاع، ابن سراج ...وغيرهم كان كثير الكتب، حافظا، عارفا بالفقه[1]، لازمه كثيرا للمناظرة في المدونة والموطأ وسماع المصنفات فقرأوسمع عليه بقراءة غيره كثيرا وأجازه جميع رواياته [2]،وأخذ عنه صحيح المسلم، وسنن أبي داود، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام،وكتاب معرف وكتاب الطبقات للإمام مسلم...[3] وغيرها من الكتب .

- الفقيه أبو علي الحسن بن الاعلى الكلاعي(ت505ه/ 1102م): من أهل سفاقس[4] سكن المغرب والأندلس كثيرا، وفي الأخير استوطن بسبتة ،تكرر عليه وجالسه كثيرا وأخذ عنه غير شيء وانتفع، وكان محققا فقيها أصوليا متكلما عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض وغير ذلك من المعارف[5].

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص27.

[2]- نفسه ،ص28.

[3]- نفسه ،ص40.

[4]- المقري ، المصدر السابق ، ص158.

[5]- القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص140.

- الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي(ت501ه/ 1108م): شيخ سبتة في النحو مشهور بالصلاح ، درس عليه كثيرا من كتب الأدب والنحو وقرأ عليه كتاب علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله، فورك[1].
- عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي: الفقيه أبو محمد يعرف بابن شبونة(ت537ه/ 1143م) أحد الحفاظ المدرسين للمذهب العالمين به، برع في الفقه، سمع من أبي علي ابن سكرة وأبي محمد ابن أبي جعفر، قال عياض: وناظرنا عنده[2].
- القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي(ت 513ه/ 1120م) أحد رجال وقته ونبهاء زمنه وأصله من نكور، تفقه عند فقهاء بلده ابن عبد الله وبن عيسى، قال عياض: ناظرنا عنده في المدونة والموطأ وأصول الفقه والدين، وكان يحضر مجلسه الأكابر من شيوخنا وأصحابه[3].

ب . من الأندلس:

- الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدي التغلبي(ت508ه/ 1115م) أجل رجال الاندلس وزعيمها في وقته ، لقيه بقرطبة سنة سبعة وخمسمائة وجالسه كثيرا رحمه الله وسمع عليه بعض رسائله[4].

الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن احمد بن خلف بن إبراهيم التجيني القرطبي الشهير بابن الحاج(ت529ه/1135م): قاضي الجماعة بقرطبة كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء[5]، قال عياض قرأت عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة، وعارضت كتابي بكتابه، وأجازني جميع رواياته[6].

- الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد(ت520ه/ 1127م)، قاضي الجماعة بقرطبة ،وكان فقيها عالما حافظا للفقه، عارفا بالفتوى[7] قال عياض: جالسته كثيرا وسألته واستفدت منه وسمعت

---

[1]- نفسه ،ص140.

[2]- القاضي عياض ،المصدر السابق ، ص154.

[3]- نفسه، ص155.

[4]- نفسه ، ص52، ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج02،ص661،660.

[5]- المقري، المصدر السابق ،ص61.

[6]- القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص47.

[7]- المقري ،المصدر السابق،ص61.

بعض كتابة في اختصار المبسوطة من تآليفه يقرأ عليه وناولني بعضها، وأجازني الكتاب المذكور وسائر رواياته[1].

-ممن أجازه في بلده من المشارقة والأندلسيين:

- القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي (ت543ه/ 1149م)[2]، وهو الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس[3]، قال عياض: ولكثرة حديثه وأخباره، وغريب حكاياته وروايته أكثر الناس فيه الكلام، وطعنوا في حديثه، وتوفي منصرفه من مراكش[4].
- سهل بن علي بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر أبو نصر (ت 531ه/ 1137م) لقيهبسبتة حين جوازه عليها وأقام بها مدة طويلة، وقال: وحدثني بحكايات وفوائد، الفضل أحمد بن وأجازني جميع روايته[5].
- الفقيه الرواية أبو عمران موسى بن عبد الرحمان بن أبي تليد الشاطبي (ت517ه/ 1124م)شيخ بلده ومفتيه وكبيره مع الأدب الجم والرواية العالية، قال لقيته بسبتة منصرفة من حضرة السلطان، فسمعت منه لتقصي لأبي عمر ابن عبد البر، وناولني كتب إجازته لي بخطه لجميع رواياته، من ذلك جميع تواليف ابن عبد البر[6].

-ممن أجازه و لم يلتق به:

- الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري [7](ت536ه/ 1142م) مستوطن المهدية، كان إماما محدثا،وهو أحد الأئمة، الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، له تأليف منها: كتاب المعلم في شرح مسلم، وكتاب التعليقة على المدونة[8]، قال عياض: كتب إلي يجيزني كتابه المسمى بالمعلم في شرح مسلم وغيره من تواليفه[9].

---

[1]- القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص48.

[2]- المقري ،المصدر السابق ،ص64،62، محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص67.

[3]- ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج02،ص227.

[4]- المقري ، المصدر السابق ،ص 64.

[5]- نفسه،ص209.

[6]- نفسه ،ص195.

[7]-.نفسه ،ج03،ص165.

[8]- نفسه ،ص55 ،ابن العماد شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الشافعي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب تح:عبد القادر الأرناؤوط ،ومحمود الأرناؤوط ،دار ابن كثير ،دمشق ،ط1،140 ه/1988م ،مج03،ص187،185 .

[9]- القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص55.

- الشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجياني(ت498ه/ 1105م) أحد أركان الحديث بقرطبة ، قال عياض: كتب إلي يجيزني فهرسته الكبرى وجميع رواياته غير مرة، ومن كتبه البخاري، ومسلم، والموطأ، والملخص، ومصنف أبي داود، وغريب أبي محمد ابن قتيبة والتقصي[1].

- تلاميذه:

القاضي عياض كان شخصية مشهورة بالعلم والورع في المغرب والمشرق وشخصيته هذه جعلته محبوب من طرف أشياخه وعلمائه وحتى تلامذته، فقد تتلمذ على يده العديد من التلاميذ سواء من المغرب أو المشرق ومنهم:

- أحمد بن عبد الرحمان بن مضاء اللخمي يكنى أبا العباس أصله من جيان، ولد بقرطبة سنة(511ه/ 1118م) قرأ القرآن، وأخذ العلم، في القراءات والحديث والعربية، وأخذ عن شيخه القاضي عياض، حين لقيه بسبتة[2].
- عبد الرحمان بن القصير الغرناطي(ت576ه/ 1181م) من غرناطة نشأ في بيت فقه وقضاء ، ألف عدة كتب مثل كتاب الحيل وألف خطبا ورسائل ومقامات[3]، وصلته بالقاضي عياض وتلمذته عليه كانت أيام قضاء القاضي بغرناطة، فقد أعجب به ابن القصير وأخذ عنه كثيرا[4].
- خلف بن بشكوال: هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال يكنى بأبي القاسم وقد لقي القاضي عياض حين دخوله قرطبة منصرفا عن غرناطة ،وأخذ عنه بعض ما عنده[5].
- أحمد بن عبد الرحمان بن الصقر الأنصاري يكنى أبا العباس (ت569ه/ 1174م) قرأ القرآن بالسبع على أكثر من شيخ منهم، القاضي عياض [6].

---

[1]- نفسه ،ص139.

[2]- البشير علي حمد الترابي ،المرجع السابق ،ص85.

[3]- نفسه ،ص85.

[4]- المقري ، المصدر السابق ،ج03،ص19.

[5]- ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج01،ص430.

[6]- ابن الخطيب ، المصدر السابق ،ج04،ص186.

- إبراهيم بن يوسف المري المعروف بابن قرقول(ت569ه/ 1174م) محدث واسع الرؤية فقيه لغوي، أصله من الأندلس ثم انتقل إلى فاس ومن مظاهر تأثره بشيخه عياض وحبه له أنه ألف عن المشارق كتابا سماه مطالع الأنوار[1].
- محمد بن سعيد الأنصاري الاشبيلي، المعروف بابن زرقون(ت586ه/ 1191م) أحد مبرزي فقهاء وقته، لغوي، أديب، شاعر، وقد لازم عياض كثيرا، واختص به، وكتب له أيام قضائه بغرناطة له مصنفات بديعة منها: كتاب الأنوار[2].
- عبد الله بن أحمد العبدري المعروف بابن أبي الرجال(ت566ه/ 1171م) محدث، حافظ، مقرئ، فقيه. من كبار علماء الأندلس له تأليف منها شرح صحيح مسلم[3].

القاضي عياض الأديب:

عرف القاضي عياض كعالم، ولم يعرف كأديب، فقد طغت شهرته العلمية على شهرته الأدبية، والمترجون لا يذكرون إلا بعض أبيات له فقط، فلو نظرنا جيدا إلى مقدمات كتبه لوجدنا ما من جيد المنثور مثل مقدمة الشفا، بالإضافة إلى مقالات ورسائل مبعثرة في كتب غيره، وكذلك خطبه وشعره.

- **الشعر** : لقد أبدع القاضي عياض في شعره فاستعمل عدة أغراض شعرية منها: المناجاة لربه عز وجل، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ونصح طالب العلم وفي الحنين والتوسل.

أنا فقير إلى عفو ومغفرة وأنت أهل الرضا يا سيد الأمم

فقد أتيتك أرجو منك مكرمة وأنت أدرى بما في القلب من ألم[4]

ويقول في خامات زرع يتخللها شقائق النعمان هبت عليه الريح[5] :

أنظر إلى الزرع وخاما ته تحكـــــــي وقد ماســـــــــــت أمام الريـــــــاح

---

[1]- حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،تح: الغني محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكالكليسي ،دار إحياء التراث العربي ،،بيروت،دط ،ص1715.

[2]- حاجي خليفة ، المرجع السابق ،ص243.

[3]- حاجي خليفة ، المرجع السابق ،ص242.

[4]- جيلاني بن شنو ،(شعر التوسل عند القاضي عياض)، مجلة حوليات التراث ،جامعة مستغانم ،ع01، 2004م ، ص03.

[5]- المقري ،المصدر السابق ،ج04 ،ص240.

كتيبة خضـــــــــــــــــــــراء مهزومـــــــــــــــة شقائق النعمان

فيها جراح[1]

– النشر:

أ– من خطبه[2] :

ب – ومن رسائله:

تذاكر رحمة الله عليه مع جلة زعماء وقادة علماء، وسادة أدباء تعاطوا بينهم كأس الأدب، حتى ذهبت بهم في التغلغل في كل مذهب، فتسابقوا في ميدانه، وجرى كل ملء عنانه، إلى أن قصدوا التعجيز، وسدوا باب المسامحة والتجويز، وقالوا: الغاية القصوى المعربة عن كل مدّع في الأدب دعوى، أن نكتب رسالة معربة المعاني رائقة ذات أصول ثابتة وفروع سامقة، فيلحق بين كل سطر منها زيادة توافق معانيها، ولا تخل من مبانيها، فتطاول لها رحمة الله عليه وأزهار آدابه تنم، وقال: أنا لها ولكل أمر مهم، وعينت له الرسالة، وكتب ما تقف عليه بعد إن شاء الله [3] وقدم بين يديها هذه القطعة وهي:

قـــل للأمـــــــــــجـــــــــــــــــــــــــــاد

والحديـــــــــــــــــــث ما ضر إن شاب الوقار مجون

ولا إن غدوت من العلوم بموضع تومي إلي أصابع وعيـــــــــــــــون[4]

وغيرها من الرسائل الأخرى في مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم ومكاتبة الأدباء ومكاتبة العلماء في قضايا علمية[5].

---

[1]– نفسه ، ص240، ابن عماد ،المصدر السابق ،ج06،ص227،226،ابن خلكان ،المصدر السابق ،ج03،ص484.

[2]– انظر الملحق رقم (03) ص100.

[3]– محمد بن عياض ، المصدر السابق ،ص88.

[4]– نفسه ،ص89،88.

[5]– المقري ،المصدر السابق ،ج04،ص31،18.

– مؤلفات القاضي عياض:

برع القاضي عياض في علوم كثيرة منها الفقه والتاريخ والأدب والحديث والعقيدة، وألف في كل علم من هؤلاء تصانيف [1] كثيرة تبدي براعته، وعلمه الغزير،وأهم كتاب أبدع وأتقن فيه هو كتاب الشفا[2].

- **آراء المؤلفين في كتاب الشفا :**

قال المقري:بلغ فيه الغاية القصوى وكان فيه لضرب الإحسان مرتشقا، وبذ فيه المؤلفين وأربى،وحاز قصب السبق إليه لضرب الإحسان دونهم وطار صيته شرقا وغربا وقد لهجت به الخاصة والعامة عجما وعربا، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمان قربا،سمعت ما مرة شيخنا الإمام علم الأعلام،المفتي عمنا سيدي سعيد بن احمد المقري يقول:ما ألف في الملة المحمدية مثل كتاب الشفا للقاضي عياض[3].

أما صاحب الديباج المذهب ابن فرحون قال: أبدع فيه كل الإبداع وسلم له أ كفاؤه كتابته فيه و لم ينازعه أحد في الإنفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه بل تشوقوا للوقوف عليه وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقا وغربا[4].

اعتنى الأئمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه،فشرحه الإمام الخطيب:أبو عبد الله بن مرزوق التلمساني شرحا واسعا لم يكمله وممن علق عليه عدة تعاليق الشيخ الإمام سيدي محمد ابن الشيخ الرباني الولي الصالح سيدي الحسن ابن مخلوف الشهير بابركان الراشدي ثم التلمساني ومن تعاليقه غنية أهل الصفا في شرح الشفا، اعتنوا أيضا بتصحيحه وضبطه واتقانه،وممن نسخ عليه تلميذه عبد الرحمان بن القصير الغرناطي[5].

– عياض قاضيا:

---

[1] – انظر الملحق رقم (02)، ص99.

[2]– محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص116، الذهبي ، ،ص214، ابن فرحون ، ج02، ص49،ابن عماد ، ص226، ابن الخطيب ،ج04،ص228، محمد بن مخلوف ،ص145، المقري ،ج04،ص 339.

[3]– المقري ،المصدر السابق ،ص271.

[4]– ابن فرحون ،المصدر السابق ، ص49، ابن العماد ،المصدر السابق ،ص226.

[5] – نفسه ، ص308.

تلقب القاضي عياض بعدة ألقاب كالفقيه والعالم والمحدث والمفتي ولكن الذي غلب عليه هو لقب القاضي فكان في منصبه هذا حسن السيرة، عادلا في أحكامه وثابتا وينصف المظلوم ويأخذ على يد الظالم، حازما جادا.

فبعد رجوعه من رحلته من الأندلس أجلسه أهل بلده للمناظرة عليه في المدونة، وهو ابن الثلاثين عاما أو نحوها، وبعد ذلك أجلس للشورى[1]، ثم ولي القضاء عام خمسة عشر وخمسمائة لثلاث بقين من صفر[2]، فسار فيها حسن السيرة[3] ولمدة طويلة[4]، وبعدها نقل إلى قضاء غرناطة [5] عام إحدى وثلاثين وخمسمائة فلبى الدعوة وتقلد خطة قضائها على المعتاد من شيمه، مشكورا عند الناس فلم يطل أمده فيها لأن يوسف بن تاشفين صرفه عنها، وترك ابن أخيه الزاهد أبا عبد الله رحمه الله على الأحكام وذلك في رمضان المعظم اثنين وثلاثين وخمسمائة[6].

وبعدها ولي قضاء سبتة مرة أخرى[7] في عام تسعة وثلاثين وخمسمائة من طرف إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف وفرح به أهل بلده[8].

ولكن بعدما استولى الموحدون على سبتة بعد ثورتها عليهم مرات عديدة بقيادته ، و لم يستطيعوا الخلاص المباشر منه تحسبا لشعبيته الواسعة وتجنبا لآثار تلك السلبية على حكمهم، فعينوه قاضيا على قرية داي ببلدية تادلة مغربا معاقبا في عهد الموحدين[9].

وبهذا يكون القاضي عياض تقلد منصب القضاء في ثلاث مواطن وهي سبتة وغرناطة وقرية الداي، فسار في قضائه أحسن سيرة فمحاكمته للفتح بن خاقان دليل ذلك أثناء محاكمته له على حد الخمر، بحيث حضر

[1]- محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص10.
[2]- ابن عماد ،المصدر السابق ،ص226،227.
[3]- محمد بن عياض، المصدر السابق ،ص10.
[4]- ابن خلكان ،المصدر السابق ، مج03،ص484.
[5]- ابن بشكوال ،المصدر السابق، ج02،ص 430.
[6]- محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص10،11.
[7]- الذهبي ،المصدر السابق ،ص213.
[8]- محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص11.
[9]- نفسه،ص14،15.

ابن خاقان مجلسه واشتم منه الحاضرون رائحة الخمر فأخبروا عياض وأقر ابن خاقان ولكن عياض لم يكتف بإقراره فاستثبت باستنكاهه، وحده حدا تاما[1].

عصره ومحنته:

عاصر القاضي عياض حكم دولتين الأولى دولة المرابطين وكان لها موليا والثانية دولة الموحدين وكان لها معارضا.

أ. عصر المرابطين:

قامت هذه الدولة في الصحراء الغربية على يد فقيه زاهد وهو عبد الله بن ياسين الجزولي[2] الذي قادها على أسس شرعية[3].

ويعود الفضل في ذلك إلى يحي ابن ابراهيم الكدالي[4] القائم بأمر صنهاجة[5]وذلك حين اجتاز القيروان [6] أثناء عودته من الحج [7]حيث التقى فيها بالفقيه أبا عمران الفاسي[8]، ودار بينهما حديث انتهى بطلب يحي بن إبراهيم من هذا الفقيه إرسال طلبته وتلامذته إلى بلاده من أجل أن يفقه قومه في الدين ويقرئهم القرآن

---

[1]- نفسه ، ص112.

[2] -عبد الله بن ياسين الجازولي : هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجازولي ،المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام ،تلميذ وجاج بن زلو اللمطي ،خرج مع يحي ابن ابراهيم إلى بلده – الصحراء – ليعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في دين الله بأمر من الشيخ أبو عمران الفاسي ،انظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،تح: جعفر الناصري ، محمد الناصري ،دط ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ، 1904م،ص08.

[3]- الحسين بن محمد شواط ،المرجع السابق ،ص16.

[4] – يحي ابن إبراهيم الكدالي : كان قائما بأمر صنهاجة بعد وفاة عبد الله بن تيفاوت ،وأثناء عودته من الحج إلتقى أبا عمران الفاسي وطلب منه أن يرسل معه أحد طلبته ليعلمهم الشرع ويفقههم في دين الإسلام ،الناصري ، انظر : الاستقصا ، المصدرالسابق ،ص06،05.

[5]- صنهاجة : من قبائل البربر ، وهم أكثر أهل الغرب يعود نسبهم إلى ولد صنهاج ، وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم،إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون و الألف فصار صنهاج ، من حمير ، انظر : عبد الرحمان بن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،تح : خليل شحادة ،سهيل زكار ،دار الفكر ،بيروت ،دط، 1421ه/2000م، ج06،ص201.

[6] – القيروان : هو قاعدة البلاد الإفريقية وأم مدائنها ، وكانت أعظم مدن المغرب نظرا وأكثرها بشرا وأيسرها أموالا وأربحها تجارة ن كانت القيروان مدنتين القيروان وصبرة ،أول من غختطها عقبة بن نافع ، ان بعد افتتح إفريقية ، انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص486.

[7]- مؤلف مجهول ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح : سهيل زكار ،عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط01، 1399ه/1979م ،ص19.

[8] – أبو عمران الفاسي : هو موسى بن عيسى بن أبي الحاج بن وليم ابن الخير الغفجومي ، وغفجوم فخذ من زناتة من هوارة ، وأصله من فاس ، وبيته لها بيت مشهور يعرفون ببني أبي الحاج ولهم عقب وفيهم نباهة إلى الآن، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،ج07،ص244،243.

فينتفعون به ويسمعون له [1]فكان هذا الشخص عبد الله بن ياسين بحيث بدأ بمجاهدة قبائل البربر الذين ارتد كثيرا منهم وتركوا العمل بأحكام الدين وانحرفوا عنه [2]وتوسعت هذه الدولة [3]في عهد يوسف بن تاشفين[4] أين سيطرت على المغربين الأقصى والأوسط والأندلس وقام بتوحيدهما[5].

ومن أهم الأحداث البارزة في عهد يوسف بن تاشفين معركة الزلاقة (479ه/ 1087م)[6] وبعد وفاته خلفه ابنه علي بن يوسف تاشفين[7] الذي أحسن تولي الأمور إذ كان يتمتع بكثير من الخصال الذي أحلته مكانا طيبا في نفوس لعيشه حيث اقتفى سياسة أبيه[8].

والعصر الذي عاش فيه القاضي عياض حافل بوقائع لا تخلو من هزات وتقلبات أصابت نظام الحكم وجميع الميادين السياسية والدينية والحضارية والعلمية واتسمت بصراع حاد في مجال العقيدة خاصة بين الترعتين المرابطية و الموحدية في الوقت الذي كان فيه المذهب المالكي[9] قد استقر ورسخت دعائمه في بلاد المغرب[10] ويعد القاضي عياض أحد أكبر أعيان مذهب مالك في عصره فقد خدم المذهب خدمة جليلة من حيث التأصيل ومن حيث الفتوى[11]...

---

[1]- علي ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور ، الرباط ،دط ،1972م،ص123.

[2] -أبي العباس أحمد بن محمد بن العذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تح : إحسان عباس ، ط03، دار الثقافة ،بيروت، 1983م،ص12.

[3]- محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الاندلس ،القسم الأول ن العصر الثالث ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط1411،02ه/1990م،ص25.

[4]- يوسف بن تاشفين : هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، انظر :ابن ابي الزرع ،المصدر السابق ،ص136.

[5]- الحسين بن محمد شواط ،المرجع السابق ،ص16.

[6]- الزلاقة : بفتح أوله وتشديد ثانيه وقاف أصله من قولهم مكان زلق أي دحض وزلقت رجله ،تزلق زلقا والزلاقة الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه والتشديد للتكثير والزلاقة أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها واقعة مشهورة في أيام المسلمين ،يوسف بن تاشفين مع الأذفنش ملك الإفرنج المشهور ،الحموي ،المصدر السابق ،ص146.

[7] - علي بن يوسف بن تاشفين : هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية ابن واتملي بن تليت الصنهاجي اللمتوني ،يكنى أبو الحسن ،ابن أبي الزرع ،المصدر السابق ،ص157.

[8] - حسين علي حسين ،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، ط01،مكتبة الخانجي ،مصر ، 1980م،ص32.

[9]- المذهب المالكي : هو أحد المذاهب الأربعة الرئيسية في الفقه الإسلامي وهو اولها ظهورا ،ينتسب إلى الإمام مالك(ت170ه)،وهو إمام دار الهجرة يلقب بأمير المؤمنين في الحديث ، حسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دار الرشاد،القاهرة ،ط1421،05ه/2000م،ص83.

[10]- محمد العربي الخطابي ،ذكرى أبي الفضل عياض اليحصبي ،مجلة المناهل ، ع19،الرباط،1980م، ص155.

[11]- إكرام بن عيسى ،مخطوط مختصر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ،لمؤلفه عبد الله بن حمادة السبتي ،الطبقة الثانية عشر ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة أبو بلقايد ،تلمسان ، ع 02، 2020م ،ص307.

وساهم القاضي في الكثير من الأحداث السياسية والثقافية لهذه الدولة [1]وقد حظي الفقهاء في عصره هذه الدولة بسلطات واسعة حتى أن يوسف بن تاشفين كان لا يمضي أيا شئ دون الرجوع إليهم وبالمثل فإن ابنه علي اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[2].

وكان حكام المرابطين يحترمونه ويجلونه فهذا علي بن تاشفين يكتب في شأن القاضي عياض إلى ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة لما أراد القاضي عياض الرحلة إلى الأندلس، للقاء الشيوخ، وأوصاه عليه في الرسالة التي بعث له بها [3].

إن هذه الرسالة واضحة الدلالة على مدى عناية هذه الدولة بالعلماء وهي في نفس الوقت تبين سمو مكانة القاضي رحمه الله وعظم منزلته لدى المرابطين[4].

وهنا تنبغي الإشارة إلا أن تأييد العلماء لهذه الدولة لم يكن على إطلاقه بحيث تدخله المداهنة والمصانعة بل كان مرتبطا بمدى التزامها لجانب الحق وتطبيق الشرع مع بيان الحق فيه[5].

ومن ذلك ما فعله القاضي عياض أيام قضائه بغرناطة من التضييق على أصحاب تاشفين بن علي وصدهم عن الباطل وإيقافهم عن الظلم مما سبب فصله عن القضاء بها[6] وقد ظهر الظلم في العهود الأخيرة لهذه الدولة فبدأت مساحة سلطانها تتقلص لفائدة دولة الموحدين إلا أن انقرضت سنة 541ه/ 1147 [7].

ب ــ عصر دولة الموحدين :

تأسست هذه الدولة على يد محمد بن عبد الله بن تومرت لقب بعد قيام هاته الدولة بالمهدي إمام الموحدين (ت 524 ه/ 1131م)[1] والأسس الفكرية والعقدية لحركة هذا الأخير كانت بعيدة عن الإسلام الصحيح[2]،ومن بينها أن الإمام يكون معصوما من الباطل ومن الضلال ومعصوما من الفتن [3].

---

[1] – أحمد جمال العمري ، المرجع السابق ،ص22.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، المجتمع ، الذهنيات ،الأولياء ، دار الطليعة ،بيروت ،دط ، 2000م،ص17.

[3]– محمد بن عياض،المصدر السابق ،ص06.

[4]– الحسين بن محمد شواط ، المرجع السابق ،ص19.

[5]– غسان أحمد عبد الرحمان ،القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة ، بحث مقدم لنيل الدرجة العالمية العالية (دكتوراه) رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، حسن العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1414ه/1994م،ص06.

[6]– مصطفى الشكعة ، المغرب والأندلس، أفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية ،ط01، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،1407ه/1987م ص163،162.

[7]– الحسين بن محمد شواط ،المرجع السابق ،ص22.

كان موقف القاضي عياض من هذه الدولة موقفا معاديا منسجما مع عقيدته وعلمه ودعوته في محاربته للموحدين الذين اعتقدوا عصمة إمامهم محمد بن تومرت وغير ذلك من العقائد البدعية[4] تولى الأمر بعد موت ابن تومرت عبد المؤمن بن علي بحيث تمت بيعته سنة 524 ه/ 1131م ،[5] تمكن هذا الأخير من بسط سلطانه عل مساحة واسعة في المغرب الأقصى والأوسط[6]واستطاعوا أن يستولوا على مراكش[7] ، ومنها انطلقت جيوش هذه الدولة لفتح باقي مدن المغرب[8] ، وبعد وفات علي بن يوسف تولى أمر المرابطين ولده تاشفين بن علي[9] .

وفي أثناء حكم تاشفين ،اتجه عبد المؤمن بجيشه الكبير إلى مدن المغرب وحاول فتح سبتة ،ولكنها امتنعت عليه وباءت محاولته بالفشل ،ويعود الفضل في ذلك إلى القاضي عياض الذي كان وراء هذا الصمود[10]،وفي هذه الصدد قال ابن خلدون :"...واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبتة وامتنعت عليه ،وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر ،وكان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه..." [11] وعلمه[12].

توفي تاشفين بن علي وهو يحارب دولة الموحدين نتيجة قلة تجربته [13]ولما قتل تاشفين بن علي في معاركه مع الموحدين وفتحت تلمسان [14]وفاس استفحل أمر عبد المؤمن ،بايع أهل سبتة كرها في جملة من بايع من المدن المغربية وكان من بينهم القاضي عياض [15]بحيث رأى المصلحة العليا لمدينة سبتة وأهلها أن يبايع عبد

---

[1]- نفسه، ص 22.

[2]- علي محمد محمد الصلابي ، دولة الموحدين ، د ط ، دار البيارق ، عمان ، 1998 م ، ج 5 ، ص 37 .

[3]- القاضي عياض ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، تح:يحي إسماعيل، ط 1 ، دار الوفاء ، المنصورة ، 1419ه / 1998م ،ج1 ،ص15.

[4]- علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ،ط3،دار المعرفة ،بيروت،لبنان ،1430ه/2009م،ص226.

[5]-مؤلف مجهول ،المصدر السابق ،ص143،ابن ابي الزرع ،روض القرطاس ،ص186.

[6]- الناصري ،المصدر السابق ،ص103.

[7]- أبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق ، اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دط ، دار المنصور،الرباط ،1971م،ص64،63.

[8]- البشير علي حمد الترابي ،المرجع السابق ،ص91.

[9]- الناصري ،المصدر السابق ،ص103.

[10]- مصطفى الشكعة ،المرجع السابق ،ص164.

[11]- ابن خلدون ، المصدرالسابق ،ص307.

[12]- الناصري ،المصدر السابق،ص104.

[13]- حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص213.

[14] - تلمسان :مدينة عظيمة قديمة فيها أثار كثيرة أزلية ،تنبئ انها كانت دار مملكة لأمم سالفة ،وهي في سفح جبل أكثر شجره الجوز ،ولها نهر كبير يسمى سطفسيف ،تقع في المغرب الاوسط ،وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع الى نظرها .انظر :مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار ،تح:سعد زغلول عبد الحميد ،دط، دارالشؤون الثقافية ص176.

[15] - الناصري ،المصدر السابق ،ص133.

المؤمن حفاظا على الأعراض والأموال وتجنيب المدينة من الدمار ،وقبل أمير الموحدين تلك البيعة الاضطرارية[1] فلما كانت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثار أهل سبتة على الموحدين برأي القاضي عياض أو مشاركته[2]،فسارع عبد المؤمن بن علي إلى نزال سبتة فامتنعت عليه مديدة ثم دخلها وأخمد الثورة وراجع أهل سبتة طاعتهم فتقبل منهم [3] وأعادوا البيعة من جديد للموحدين الذين قبلوا ذلك فعفا عنهم وعن القاضي عياض [4]وأمره بسكنا مراكش والصحيح انه ولاه القضاء بتادلا ،ثم دخل مراكش وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبتة فهدم [5]،بقي عياض في مراكش وتوفي بها مغربا عن وطنه أواسط سنة 544ه/ 1139 [6].

ج .محنته :

لم يسلم القاضي عياض كغيره من الفقهاء من المحن والبلايا التي تعرضوا لها نتيجة لمواقفهم السياسية أو معتقداتهم أو أرائهم وغيرها من الأسباب ،وقد ذكر عياض في مقدمة كتابه[7]عندما بين انه تحدث عن المحن التي تعرض لها الفقهاء فقال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أشدهم – يعني الناس – بلاء الأنبياء ،ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ." [8] فكان هذا الأخير ممن اختص بهم وتعرض لهاته المحن.

أما محنته في دولة المرابطين فيعود سببها إلى صد أصحاب تاشفين عن الباطل وخدمته عن الظلم وتشريدهم عن الأعمال فسعى في صرفه عن غرناطة [9]وكان ذلك في رمضان سنة 532ه / 1138م و لم يمضي ثمانية عشر شهرا على تقلده منصب القضاء.[10]

ثم امتحن عياض أيام الموحدين [11]ويعود السبب الأول في ذلك إلى تمسك القاضي عياض بعقيدة أهل السنة والجماعة [1]وعدم إقراره بعصمة ابن تومرت ومهديته [2]ومما زاد الطين بلة هو تلك الثورة التي قامت بسبتة بقيادة

---

[1] – علي محمد الصلابي ،المرجع السابق ،ص234،233.

[2] – حسن الوراكلي ، ابو الفضل القاضي عياض (ثبت ببيليوجرافي)،دط،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،1994م،ص14.

[3] – القاضي عياض ،الغنية ،ص07.

[4] – ابن أبي الزرع ،المصدر السابق ،ص191.

[5]– الناصري ،المصدر السابق ،ص215،214.علي محمد الصلابي ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ،ص226.

[6]– القاضي عياض ، المصدر السابق ،ص07،علي محمد الصلابي ،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين،ص226.

[7] – القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،ج01،ص23.

[8] –القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج01 ،نقلا عن مقدمة الكتاب ،الحديث في فيض القدير 519/1،ص23.

[9] – محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص11.

[10] – مصطفى الشكعة ،المرجع السابق ،نبيل بن محمد محمود ،العلماء بين المحن والابتلاءات ،ص743.

[11]– محمد العربي الخطابي ،المرجع السابق ،ص157.

بقيادة القاضي عياض بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة [3] قال البيذق عن هذه الثورة ثار أهل سبتة سنة 543ه /1138م برئاسة الفقيد الشهيد القاضي عياض ، على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بعدما بايعوه و مكنوه من المدينة ، فقتلوا من بها من الموحدين و ركب القاضي عياض ببيعتهم الى ابن غانية ،و طلب منه تعيين وال عليهم فأرسل لهم الصحراوي ولما انهزم الصحراوي أمام جيوش الموحدية ندم أهل سبتة على قبيح صنيعهم مع عبد المؤمن فكتبوا إليه بيعتهم مرة ثانية [4] و أرسلوا بها أشياخ المدينة و طلبتها تائبين فعفا عنهم و عن القاضي عياض [5] وأمره بسكنا مراكش [6] لم هذا الإجراء هو كل عقاب القاضي عياض الذي لقيه من عبد المؤمن ولكن العقاب الحقيقي حين عينه قاضيا على قرية (داي) بضواحي تادلا[7] و لذلك سخطته الدولة آخر أيامه حتى مات مغربا عن سبتة [8] و توفي بمراكش سنة 544 ه/1138م [9] فكانت هذه محنته عندما غرب عن وطنه ومات منفيا بمراكش ، و تجمع جل المصادر و المراجع على هذا القول .

و للقاضي عياض شعر حزين وصف فيه غربته و ألامه في داي و مما جاء فيه :

أ قمرية الادواح بالله طارحي أخاشجي بالنوح و الغناء

فقد أرقتني من هديلك رنة تهيج من شوقي و من برحائي

لعلك مثلي يا حمام فإنني غريب بداي قد بليت بداء

فكم فلاة بين "داي" و" سبتة" و خرق بعيد الخافقين قواء [10]

المطلب الثاني : دراسة كتاب ترتيب المدارك .

---

[1]– احمد جمال العمري ،المرجع السابق ،ص65.

[2] – نبيل بن محمد بن محمود،العلماء بين المحن و الابتلاءات ،ط2،الدار العالمية للنشر و التوزيع ،مصر ،1432ه/2011م ،ص 746.

[3] –ابن أبي الزرع ،المصدر السابق ،ص191.الاستقصا ،ص114.الوراكلي ،أبو الفضل القاضي عياض السبتي ثبت ببليوجرافي ص14.

[4] – البيذق ، المصدر السابق ، ص86.

[5]– ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص 191.

[6]– الاستقصا ، المصدر السابق ، ص 114،115 .

[7]– نفسه ،ص 114 . ابن خلدون ،ج06 ،ص307.

[8]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 307 .

[9]– القاضي عياض ، الغنية ، المصدر السابق ،ص 07 .

[10]– علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 223 ، مصطفى الشكعة ، المغرب و الأندلس ،ص 150 – 151 ، حسين محمد شواط ، القاضي عياض عالم المغرب ، ص 273.

الدراسة الظاهرية :

اسم المؤلف : القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544ه/ 1138م) .

عنوان الكتاب : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك .

تحقيق : الجزء الأول : حققه محمد بن تاويت الطنجي .

الجزء الثاني والثالث والرابع : حققه عبد القادر الصحراوي .

الجزء الخامس : حققه محمد بن شريفة .

الجزء السادس والسابع والثامن : حققه سعيد أحمد أعراب .

حجم الكتاب : حجم الكتاب متوسط إذ يحتوي على ثمانية أجزاء ، واعتمادنا كان على نسخ إلكترونية pdf .

دار ومكان النشر بالإضافة إلى الطبعة : الجزء الأول :دون دار ومكان النشر ، دون طبعة ، دون سنة النشر .

الجزء الثاني : مطبعة فضالة المحمدية – (المغرب) – الطبعة الثانية ، 1403ه/1983م.

الجزء الثالث : دون دار ومكان النشر ، دون طبعة ، دون سنة النشر .

الجزء الرابع : مطبعة فضالة المحمدية – (المغرب) – الطبعة الثانية ،1403ه/1983م .

الجزء الخامس : مطبعة فضالة المحمدية – (المغرب) – الطبعة الثانية ، 1982م .

الجزء السادس : مطبعة فضالة المحمدية – (المغرب) – الطبعة الأولى ، 1401ه/1981م .

الجزء السابع : مطابع الشيوخ ، ديسبريس – تطوان – دون طبعة ، 1402ه/1982م .

الجزء الثامن : دون دار ومكان النشر ، دون طبعة ، 1403ه /1983م .

الوصف الخارجي للكتاب : اعتمدنا في دراستنا هذه على نسخ إلكترونية pdf، ووجدنا فيه ثلاثة ألوان (أخضر وأسود و أصفر) ، عنوان الكتاب مكتوب بخط عريض بالأسود ، يليه مباشرة عدد الجزء ،ثم اسم

المحقق ، بعدها تأتي سنة النشر ، كتب فيه من الأعلى طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، وكتب في الجهة اليمنى من الأعلى المملكة المغربية تليها مباشرة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية [1].

محتوى الكتاب : انظر العنصر الخاص بمحتوى الكتاب .

المصادر والمراجع : انظر العنصر الخاص بالمصادر والمراجع .

محتوى الكتاب:

بدأ القاضي عياض كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك بمقدمة بين فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب كما بين أسلوبه في الكتابة ومنهجه وبعض مصادره. ولعل اسم هذا الكتاب يشير إلى محتواه وهو معرفة أعلام مذهب الإمام مالك الذي افرده القاضي عياض بترجمة طويلة في نظرنا، وحسب رأينا أن كل من ترجم لمالك كان لابد له من العودة إلى ما جمعه عياض.

سمى القاضي عياض كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك بهذا الاسم تم ذكره في كتاب التعريف بالقاضي عياض لابنه أبو عبد الله حيث قال:« كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك خمسة أسفار و لم يسمعه [2].

ويدخل هذا الكتاب ضمن كتب التراجم، وقد أرخ فيه لرجالات الفقه المالكي في الفترة ما بين(124ه-743م/462ه-1070م)[3] ابتداء من الإمام مالك إمام المذهب الذي أفرده القاضي عياض بترجمة هي أجمع وأشمل وأصح ما كتب عن الإمام مالك إلى غاية الطبقة التي أدركها القاضي عياض[4] .

يقول القاضي عياض في مقدمته أن هذا الكتاب حاو لأسماء أعيان المالكية وأعلامهم وتبيين طبقاتهم وأزمانهم وجمع عيون فضائلهم وآثارهم ... يوصل الطالب إلى الغرض ويقف بالراغب على البغية من شدة حاجة المجتهد والمقلد له وضرورة الفقه والمتفقه إلى ما ينطوي عليه[1].

---

[1]-انظر الملحق رقم (01)،ص98.

[2]- محمد بن عياض ،المصدر السابق ،ص166.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج06،ص03.

[4]- البشير علي حمد الترابي ،المرجع السابق ، ص415.

ويصرح القاضي عياض أن هذا الموضوع لم يعتني به جيدا من قبل الآخرين فيقول: ولم ألقى أحد مما يعتني لقوله ويلتفت إلى حسن رأيه ممن وقف على نبذ من أمره، أو انتهى إليه نبأ من ذكره إلا قلقا إلى تمامه، شديد التعطش إلا كماله محرضا على صرف العناية إلى تحريره وتهذيبه راغبا في تقريب الفائدة بنظمه وتبويبه والنفس تمطل بذلك وتسوف، وتوالي القواطع والشواغل، يصرف عن ذلك ويصدف إلا أن انبعثت الآن عزمة مصممة للتفرغ لتأليفه وترتيب مضمنه وتصنيفه[2].

وقد قدم له مؤلفه بمقدمات تمس الحاجة إليها وتتم الفائدة بالوقوف عليها تشتمل على أبواب في ذكر المدينة وفضلها وذكر علمائها وعلمها ووجوب الحجة بإجماع أهلها وترجيح مذهب مالك ابن أنس إمامها[3].

وعقد ترجمة مسهبة للإمام مالك صاحب المذهب تحدث فيها عن نشأته وحياته العلمية ومجالسه في الحديث وتأليفه الموطأ وما إلى ذلك من أثاره و أورد جملة من فضائله وما قيل في شأنه وثناء الناس عليه[4].

بحيث قام بذكر الأئمة الذين اقتدوا به وثناء العلماء عليه ونشر فضائله وما أضيف من السير إليه إلى سائر ما يحتاج إليه من معرفة تاريخه ونسبه ويتطلع إليه من مجاري أحواله في معاشرته وأدبه[5].

من هنا تخلص للرواة عنه وفيهم شيوخه وأقرانه وذكر منهم نحو ألف اسم[6]فيقول: أثبت بعد ذلك جريدة من أسماء مشاهير الرواة عن مالك وحملة الفقه والعلم عنه مختصة بالتعريف بهم معراة منهم تواريخهم وأخبارهم إذ قد اتسعنا في أخبار الفقهاء منهم بعد هذا[7].

ثم بدأ بذكر الفقهاء من أصحابه خاصة ثم بأتباعهم طبقة طبقة و أخلافهم أمة بعد أمة إلى شيوخ المؤلف الذين أدركهم وأئمة زمانه الذين عاصرهم[8].

---

[1]- القاضي عياض ،المصدر السابق ،ج01،ص06.

[2]- نفسه ،ص07.

[3]- نفسه ،ص08.

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج06،ص06.

[5]- نفسه ،ج01،ص08.

[6]- نفسه ،ج06,ص03،04

[7]- نفسه ،ج01،ص13.

[8]- نفسه ،ص14.

ثم جمع من أخبارهم وقصصهم وفقر من سير حكامهم وقضائهم ونوادر من فتاوي فقهائهم وأئمتهم ما يحتاج الحكام إليه ولا غنى بالعلماء عنه وأثبتنا من حكم حكمائهم ورقائق وعاظهم ومناهج صلحائهم وزهادهم[1].

وذكر أيضا محنهم [2].

1ـــ منهجه ومصادره :

أ ـــ **منهجه** : حدد أبو الفضل عياض منهجه في مقدمة الكتاب فقسم مابين عهد مالك والزمن الذي يعيشه إلى فترتين ـــ فترة الأصحاب وفترة الأتباع ولكل فترة طبقات[3] ، وقد جمع القاضي عياض في منهجه بين طريقة المؤرخين في التراجم وطريقة المحدثين في علم الرجال[4]وعرف بالمشتهرين من كل طبقة[5]، بحيث يبدأ في كل طبقة بأهل المدينة ثم أهل العراق والمشرق عامة ثم أهل مصر ثم أهل إفريقية ثم أهل الأندلس والمغرب[6]وعند تناوله لترجمة كل واحد من هؤلاء المشاهير فإنه يبين اسم المترجم له ، ويبين المشكل ويضبطه خوفا من وقوع التصحيف والتحريف[7]ثم يبين بعد ذلك مولد المترجم له،ويذكر مشايخه والرواة عنه وتاريخ وفاته ومناقبه ومرتبته في العلم و الرواية [8]،وأحيانا نجد أن هذه العناصر تجتمع في ترجمة واحدة،وأحيانا قد توجد فيها مجموعة منها ،أو قد لا تتوفر منها إلا اليسير وفي تناوله لبعض الشخصيات نراه أحيانا يسهب في الحديث عنها [9]وفي حين أخر لا يتعدى ذلك في بضع من الجمل [10].

---

[1]- نفسه ،ص23.

[2]- نفسه ,ص23.

[3]-نفسه ،مقدمة المحقق سعيد أعراب،ج06،ص04.

[4]-حكيم باشا ،القاضي عياض وجهوده العقدية في مبحث الإلهيات والنبوات ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في العلوم الإسلامية ،تخصص عقيدة ،كلية العلوم الإسلامية ،قسم العقائد والأديان ، جامعة الجزائر ،2009م/2010م،ص80.

[5]- القاضي عياض المصدر السابق ،ص04.

[6]- حسين بن محمد شواط ،منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم ،ط1،دار ابن عفان ،السعودية 1414ه/1993م،ص159.

[7]- البشير علي حمد الترابي ،المرجع السابق ،ص423.

[8]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج6،ص04.

[9]- نفسه ،أنظر ترجمة عبد الرحمان المخزومي ،ج03،ص3.

[10]- نفسه ،أنظر ترجمة أبو شاكر محمد بن مسلة ،ج04،ص03.

كما ان القاضي عياض وقف من المصادر التي اقتبس منها تراجمه موقف المحقق المدقق الناقد ،وقد استدرك على الكثير منها وانتقد بعضها في مقدمة ترتيب المدارك [1].

هذا هو منهج القاضي الذي سار عليه في التراجم ومنه نستطيع أن نؤكد أنّ القاضي عياض في هذا الكتاب لم يكن بمعزل عن شخصيته كمحدث [2].

ب. مصادره :إن الدارس لكتاب ترتيب المدارك يجد نفسه أمام ثلاثة موضوعات متفاوتة من حيث الحجم وهي :

أولا :ترجمة الإمام مالك ومذهبه وحجيته .

ثانيا :تسمية الرواة عنه .

ثالثا:طبقات أعلام المذهب إلى زمن القاضي عياض [3].

الأمر الذي جعل القاضي عياض يعتمد على ثلاثة أصناف من المصادر في تناوله لهذه الموضوعات ،وقد ذكر ذلك بالتفصيل في مقدمة كتابه هذا .

ففي ترجمة حياة الإمام مالك وبيان فضله وعلمه أخذ القاضي عياض عن الكثير من العلماء الذين صنفوا في فضائل الإمام مالك ،وأشهرهم القاضي أبو عبد الله التستري (ت453ه/1062م) وفي هذا الصدد قال :" وأكثر تعويلي على كتابي التستري و الضراب وتتبعت من غيرهما ما فيه زيادة فائدة ،أو نادرة لم تقع فيهما ..."[4] وكان عالما بمذهب الإمام مالك ،وأبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب المصري (ت 362ه/ 974م)[5] والقاضي أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت 301ه/914م)[6]،صاحب كتاب "مناقب الإمام مالك "،وأبو العرب التميمي (ت303ه/ 916م)[7]صاحب كتاب "فضائل مالك " وغيرهم ممن صنف في سيرة وفضائل ومناقب ومذهب مالك

---

[1]- البشير علي حمد الترابي ،المرجع السابق ،ص425.

[2]- نفسه ،ص425.

[3]- نفسه،ص427.

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق ،ج01،ص12.

[5]- نفسه ،ص09.

[6]- نفسه،، ص09.

[7]- نفسه ،ص09.

– أما الرواة عن مالك ونقله العلم عنه فقد أشار إلى ذلك ،وقد صنف فيه مصنفا مستقلا تضمن أكثر من ألف وثلاثمائة ترجمة تقصاها من مختلف الكتب المؤلفة في ذلك ،وعنوان هذا الكتاب "جمهرة رواة مالك "[1] وهو من مؤلفاته المفقودة وقد ذكره أكثر من مرة في مقدمة ترتيب المدارك .

– وأخذ تراجم الرواة عن الحافظ أبي الحسن الدراقنطي الحافظ (ت385ه/966م)[2]،وعن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي[3] صاحب كتاب "الرواة عن مالك " ،وكذا عن أبي نعيم الأصبهاني (ت 365ه/ 978م)[4] وأبو إسحاق إبن شعبان القرطي ....[5].

– أما في تراجم الرجال من أعلام مذهب مالك ،فقد اعتمد القاضي عياض على طائفة كبيرة من كتب المحدثين أشار إلى ذلك بقوله : " إستصفيناه من كبار تصانيف المحدثين و أمهات تأليفا المؤرخين "[6] ،ومن هذه التصانيف التي أخذ عنها عياض كتاب "التاريخ الكبير "لأبي عبد الله البخاري[7] ،و"الجرح والتعديل" لعبد الرحمان بن أبي حاتم (ت327ه/ 940م)[8]،وكتاب ابي جعفر الطبري (ت310ه/923م)[9]،وكتاب "تاريخ علماء الأندلس "للقاضي أبي الوليد الفرضي (403ه/ 1013م)[10]،وكتاب "تاريخ فقهاء طليطلة وقضائها " لأحمد بن عبد الرحمان بن مطاهر (ت 489ه/ 1097م)...وغيرها من المؤلفات التي ألفت لهذا الغرض ،إضافة إلى هذه المصادر وغيرها فإن القاضي عياض قد جمع في كتابه أيضا مما تلقاه من أفواه الشيوخ الذين تتلمذ عليهم وسمع منهم وروى عنهم .

2.أهمية الكتاب في الدراسة التاريخية :

يعرض كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك سلسلة طويلة من أعلام ورجالات المذهب المالكي ،وعياض أولى في هذا الكتاب عناية خاصة للمذهب المالكي ،فأعطى صور حول نشوء المذهب وتطوره،وأخبار عن رواة المذهب وفقهائه وكتبه .

---

[1]– نفسه ص13.

[2]– نفسه ،ص13.

[3]– نفسه ،ص13.

[4]– نفسه ،ص13.

[5]– نفسه، ص13.

[6]– نفسه ،ص28.

[7]– القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج01،ص28.

[8]– نفسه،ص28.

[9]– نفسه،ص28.

[10]– نفسه ،ص30.

ولهذا الكتاب أهمية كبيرة من جوانب عديدة منها التاريخية والفقهية والأدبية و السياسية وحتى الاجتماعية و تحدث عن جانب مهم عن حياة الفقهاء الاجتماعية من خلال ترجمة العلم ،ويتحدث فيه عن كل مايخصه عن الحياة الأسرية له من زواج وذرية ،كأبي الوليد الباجي (ت474ه/ 1082م) الذي كان له ولدان...[1]،وعن مأكلهم ومشربهم كأبي العباس عبد الله بن احمد بن إبراهيم بن إسحاق التونسي (ت361ه/ 973م)الذي كان غذاؤه نصف حجلة تترد له في نصف خبزة[2]،وكذلك تحدث عن مسكنهم وعن كسب عيشهم من حرفهم وصناعتهم وعن لباسهم كأبو الوليد بن ميقيل (ت436ه/ 1045م)[3]،وهذا أبو مروان بن مالك علق بصناعة فتل الحرير [4] ،وتحدث كذلك عن نوادرهم فعبد الله بن فتح بن فرج بن معروف بن أبي معروف التجيبي (ت376ه/ 987م)كان في مجلس وتحلق الناس إليه ،فمر به بعض المجانين ،فسأل عنه ،فقيل له مات فلان وهذا فلان صار مكانه فقال:جبر شئ من لاشئ واستطرف قوله وصار مثلا [5]،ومحنهم كمحنة أبو بكر بن زهر [6]،ومجالسهم ومناظراتهم كأبو بكر بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالبقلاني ومناظرته المشهورة في مجلس عضد الدولة ومناظرته في مجلس ملك الروم[7]،وكذلك ذكر بعض الأخبار عن مؤلفاتهم وعن دورهم في المجتمع

وبهذا يعتبر كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض من بين الأكثر كتب أهمية في تراجم أعلام المالكية ،فهو مصدر أولي ومهم للرجوع إليه لدراسة المجتمع خاصة مجتمع الفقهاء ،فهو يذكر فترة مهمة من الحياة الاجتماعية للفقهاء خلال فترة مهمة من التاريخ الإسلامي .

---

[1]- نفسه ،ج08،ص127،117.

[2]- نفسه ،ج06،ص15.

[3]- نفسه ،ج08،ص30،29.

[4]- نفسه ،ص34.

[5]-القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج07،ص33.

[6]- نفسه ،ج08،ص29.

[7]- نفسه ،ج07،ص70،44.

المبحث الثاني : مظاهر الحياة الاجتماعية للفقهاء .

أولا : الحياة الأسرية .

1- الزواج .

2- علاقة الفقهاء بأبنائهم .

ثانيا : أسلوب المعيشة للفقهاء .

1- اللباس .

2- الأكل .

3- الحرف والصناعات .

ثالثا : المكانة الاجتماعية للفقهاء.

1- مكانتهم عند الحكام .

2- مكانتهم عند العامة .

3- مظاهر التأثير العلمي على الجانب الاجتماعي.

4- محنهم .

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية للفقهاء

1. المطلب الأول: الحياة الأسرية.

تشكل الأسرة إحدى اللبنات الأساسية لبناء المجتمع، فهي النواة والصورة المصغرة له، وإذ جئنا للتحدث عن الفقهاء والعلماء نجد أنهم أولوا عناية كبيرة لحياتهم الأسرية. وذلك بالحرص على التفاعل مع أسرهم والقيام بشؤونها والسهر على راحتها ... وبناء الأسرة يبدأ أولا بالزواج الذي يعتبر المرحلة الأولى من مراحل بناء الأسرة، ويكون باختيار الزوجة المناسبة فتكون بذلك شريكة في أمور حياة، ويثمر هذا الأخير بإنجاب الذرية والأولاد، الذين يضيفون على الأسرة المحبة والأنس ويعززون روابط هذه الأسرة ويحافظون على إرثها وجمعت بين الأبناء وآبائهم العديد من العلاقات من مودة ورحمة وحب وتوارث العلم وهو ما سنتحدث عنه في الآتي:

1- الزواج:

يعد الزواج الأساس الأول لبناء الأسرة التي هي الخلية الرئيسية في المجتمع، وقد سعت مختلف طبقات المجتمع إلى مصاهرة الفقهاء والعلماء ولا نستثني هنا الفقهاء فقد حرصوا هم الآخرين على تزويج بناتهم للفقهاء خاصة الذين يجلونهم ويقدرونهم فقد ذرك القاضي عياض هنا أن مالك عرض على عبد الله بن غانم القاضي أن يزوجه ابنته ويقيم عنده ، فامتنع من المقام وقال إن أخرجتها إلى القيروان تزوجتها[1] في حين هنالك من تم له الزواج منهم زياد بن عبد الرحمان الملقب بشبطون فقد سمع من معاوية بن صالح القاضي وكان صهره على ابنته[2] وقد تزوج الفقيه محمد بن عبيد الله بن الوليد المعيطي أبو بكر (ت 367ه/956م) من بنت القاضي ابن سليم [3] وهذا دليل على أن الفقهاء كانوا يتصاهرون مع القضاة .

ولا تكاد عادة الزواج في بلاد المغرب الإسلامي في القرون الإسلامية الأولى تختلف عما عليه الآن فإذا وقع اختيار شاب على فتاة ورضيها زوجة له، أرسل وفدا خاصا لخطبتها من ولي أمرها ، ولنا في القيروان مثال: فقد أرسل أحمد بن لبدة (ت261ه / 876م) أبا دواد العطار إلى سحنون يخطب ابنته خديجة[4]

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج03، ص66.

[2]- نفسه ص116 .

[3]- نفسه ، ج07 ، ص119.

[4]- نفسه، ج 04، ص221.

فقال هممت بذلك فأباه محمد – يعني ابنه- ولا أصنع ما يحبه[1] فالزواج بالنسبة للمرأة اعتبر شأنا عائليا أكثر منه شأنا فرديا ، فأسرتها ووالدها على الخصوص ، هو الذي كان يتكلف بترتيب أمور زواجها في ضوء مصالحه الخاصة[2].

والظاهرة الملفتة أن الزواج جرى أحيانا في إطار القربة العائلية فقد أشار القاضي عياض إلى أن إسماعيل بن أبي أويس (ت 227ه/ 843م) كان ابن أخت مالك وزوج ابنته [3] ، ونذكر هنا أيضا الفقيه ابن القاسم (ت 192ه/ 809م) الذي تزوج ابنت عمه. [4]

وكان الشاب يراعي عند اختيار شريكة حياته أن تكون بمستواه الاجتماعي والاقتصادي فيطلبها على قدر ذات يده في مؤونتها وقناعتها حي يبقى في يده ما يستغنى به [5] فكانت بذلك الزوجات تشارك زوجها مصاعب الحياة وذلك عن طريق الصبر خاصة إذا حلت به ذائقة في المال وغيره وبين ذلك القاضي عياض في تعرضه لترجمة الفقيه الواقدي (ت 207 ه/ 822م) بحيث قال أن زوجته صبرت معه عندما حلت بهم ضائقة في المال [6].

ومن الفقهاء من تزوج بامرأة كانت من الأغنياء والمياسير جدا فيذكر القاضي العياض في ترجمته لسعيد بن حسان انه دخل على يحي بن يحي فتعجل له الإذن وكانت زوجة يحي حاضرة ، فدخلت جنة البيت وتركت نعلها بالبيت وكانت زينته بالدر والياقوت دليل على غناها وثروتها.[7]

وقد أشار القاضي عياض إلى نوع أخر من الأزواج وهم االزاهدين العزوفين عن متاع الحياة، جمعت بينهم صفات الزهد في الدنيا مثل أبو إسحاق الجبنياني (ت 369ه/980م) فقد كانت له زوجة قريبة في الفضل والعبادة [8].

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق،ج 04،ص 222.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع السابق ص 26

[3]- القاضي عياض المصدر السابق ، ج 03 ص 151.

[4]- نفسه ،ص 250.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجر بين (10/9م) ،دط ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 316.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق، ج03، ص 214.

[7]- نفسه، ج04، ص113.

[8]- نفسه ،ج06 ، ص 247.

ومنهم من اعتزل امرأته نتيجة زهده في عنفوان شبابه مثل محمد بن عبيد الله (ت376ه/987م) السالف ذكره ، إلا أنها اختارت المقام معه [1] فكانت بذلك صابرة على زهده.

غير أن هنالك من الزوجات من كانت متسلطة على زوجها ، كالفقيه أبو بكر ابن اللباد (333ه/945م) الذي كانت امرأته تؤذيه بلسانها فيحكى أنها قالت له يوما يا زان ؟ فقال: سلوها بمن زنيت ، فقالت: بالخادم، فقال: سلوها لمن الخادم فقالت له ، فقال له أصحابه طلقها ونحن نؤدي حقها ، فقال: أخشى إن طلقتها يبتلى بها مسلم، ولعل لعل الله دفع عني بمقاساتها بلاد عظيم ، وكان يقول لكل مؤمن محنة وهي محنتي.[2]

وقد سعت المرأة في كسب ود زوجها عن طريق مساعدته ، أمثال أبو بكر بن هذيل[3] الذي كان عيشه من كد يد امرأته ، كانت تشتري الكتان وتعزله وتنشجه و يتقوتون من فضله.[4]

وصور لنا القاضي عياض في مداركه أن بعض الفقهاء من كان يحزن على وفاة زوجته وهذا ما أظهره في ترجمته للفقيه طالوت بن عيد الجبار المعافري فقد كان حزينا على فراق زوجته.[5]

ويبدوا أن بعض الفقهاء من كان يقحم زواجه أحيانا في الأحداث التي تصيبه أو تطرأ عليه يوصلها إلى حد الطلاق وهنا تجدر الإشارة إلى موسى بن معاوية الذي قال: كنت عند البهلول بن راشد (ت 183ه/ 800م) إذ أتاه أشرس[6] فقال له البهلول ما أقدمك : قال نازلة رجل طلبه السلطان فأخفيته ، وحلفت بالطلاق ثلاثا ما أخفيته.[7]

ومن مظاهر حرص واهتمام الفقهاء بأزواجهم ، ما ذكره القاضي عياض عن الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد العتمي ، حيث قال ترك الدكان وفرق ما فيه على أهله وجيرانه وخيّر زوجته ودفع إليها حقها قبل وفاته.[8]

---

[1]- القاضي عياض ،المصدر السابق ،07، ص 120.

[2]- نفسه، ج05، ص 289

[3]- نفسه ،ص 121.

[4]- نفسه ،ص122.

[5]- نفسه ،ج03.ص، 341.

[6]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 03.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص86.

[8]- نفسه،ج05، ص133.

وهناك من الفقهاء من مات و لم يتزوج ، أمثال أبو الأزهر عبد الصمد وأبو هارون موسى ابنا عبد الرحمان بن القاسم ، ماتا شيخين و لم يتزوج واحد منهما [1] وأيضا أبو الوليد هشام بن احمد الذي لم يتزوج وكان يتناول أشغاله بيده، [2] وهناك من عزف عنه بسبب زهده في الدنيا فقد كان أبو الفضل يوسف بن مسرور يقول إنما يريد البقاء في الدنيا من يتلذذ بالطعام والنساء – أي الزوجة– وأنا والله قد عدمت لذة الثلاث [3] وآخرون عزفوا عنه بسبب تفرغه لطلب العلم والدراسة [4].

2– علاقة الفقهاء بأبنائهم:

لقد حرص الفقهاء بدورهم على تربية أبنائهم وتعليمهم وتأديبهم فلم يغفلوا عن ذلك رغم مشاغلهم الكثيرة ، باعتبارهم فئة يلتجأ إليها الناس في حل مشاكلهم كل هذه الأمور لم تكن عائق أمامهم بل حرصوا كل الحرص على تربية أبنائهم ، وإنشائهم على الحب والتربية والتعليم والأدب والأخلاق وهناك الكثير من الأمثلة التي أوردها القاضي عياض في كتابه والتي تدل على هذا .

جمعت بين الفقهاء وأبنائهم علاقة حب التي هي فطرة الله سبحانه وتعالى في خلقه، فمنهم من وصل به الحد في حبه إلى أن يتمني لابنه الموت وهو صغير في سبيل الفوز بالآخرة ، دليل ذلك ما ذكر عن البهلول بن راشد (ت 183ه/800م) بحيث قال أحد أصحابه : دخلت عليه وبين يديه ابنته طفلة قال: فقال لي: ما أحببت شيئا حبي لها، واني لأحب لو قدمتها لربي [5] ، نفس الأمر إلى الفقيه أبو بكر بن محمد بن علي النابلسي (ت320ه/933م) لما امتحن هو وابنه على يد بني عبيد وأتوا أسيرين، اختار الشيخ أن يقتل ابنه قبله حتى يحتسبه ويكون في ميزانه، [6] وذكر أيضا عبد الله الأصغر وبين حب أبيه نافع له ، فقال: كان يحب ابنه هذا عبد الله الأصغر [7].

---

[1]– القاضي عياض ،المصدر السابق ، ج04 ص44.

[2]–نفسه، ج08، ص195.

[3]– نفسه، ج05، ص 143، 144.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 22.

[5]– القاضي عياض ، المصدر السابق، ج03، ص96.

[6]– نفسه ، ج05، ص 285، 286.

[7]– نفسه ،ج03، ص 145.

ونستشف أيضا من بعض تراجم الرجال الذين ذكرهم القاضي عياض هذا الحب مثل القاضي أبو بكر بن سليم (ت367ه/956م) الذي كان شديد المحبة لبنيه والاستشفاق عليهم وكان يوصي مؤدبهم أن لا يضربهم فقال له مؤدبهم يوما ، كيف يتعلمون بلا ضرب فقال له:" **الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2)**"[1] أوصى مؤدبي أبي أن لا يضربني فما ضربني قط غير مرة واحدة فلذلك لم أتعلم ،[2] وكان بعض الفقهاء يخافون على أبنائهم قصر العمر أمثال الفقيه ابن سحنون فقد كان يقول ما غبنت في ابني محمد إلا أني أخاف أن يكون قصير العمر [3] ، وكان يقول لمؤدبه لا تؤدبه إلا بالكلام الطيب والمدح فليس ممن يؤدب بالتعنيف والضرب [4]، فقد شكل المؤدب في الكتاب أو المدّرس في المسجد مصدرا ثانيا من مصادر تربية الأبناء وتوجيه سلوكهم وتكوين شخصيتهم[5].

نجد أيضا أن بعض الفقهاء كانوا يستوصون على أبنائهم أمثال سعد بن عبد الله بن سعد المعافري ، الذي وصى لابن القاسم مع ابن وهب بابنته [6] وخطب ابنت سعد هذه بعد موته رجل موسر لكن يعيبه أهل الدين ، فقال ابن وهب أزوجها منه ،وقال أبو القاسم لا أزوجها منه ثم قال ابن القاسم أرأيت لو كان سعدا حيا أكان يفعل؟ قال ابن وهب :لا ، قال: إنما نفعل ما كان يفعل، [7] ورأيهم دليل على أن سعد كان يحرص على تزويج ابنته لإنسان متدين وفقير خير له من أن يزوجها من شخص غني ويعيبه رجال الدين في أخلاقه.

وقد حن واشتاق الأبناء إلى أبائهم نتيجة رحلاتهم الكثيرة من أمثلة ذلك ما كتبه ابن احمد بن المعذل عندما خرج أبوه إلى طرطوس فأطال المكث فيها فكتب إليه –ابنه– يا أبت أوحشت بقاعك، [8] وهذا دليل على طيب وقوة العلاقة التي كانت بينهما ، وكان إسحاق بن إبراهيم بن مسرة (ت 354ه/966م) شديد البر بوالدته.[9]

---

[1]– سورة الرحمان، الآية رقم 02 .

[2]– القاضي عياض ، المصدر السابق، ج06، ص 247.

[3]– نفسه، ج04، ص205.

[4]– نفسه، ص 205.

[5]– إبراهيم القادري بوتشيش ،المرجع السابق، ص 62.

[6]– القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج03، ص 56.

[7]– نفسه، ص 57.

[8]– نفسه، ج04، ص 10.

[9]– نفسه ،ج06، ص130.

ومن مظاهر تربية الأبناء على الأخلاق والأدب ما قام به سحنون وهو يوصي ابنه محمد بحيث قال له : يا بني سلم على الناس فان ذلك يزرع المودة وسلم على عدوك وداره، فان رأس الإيمان بالله المداراة بالناس[1]، وكان الآباء يدعون إلى أبناءهم فكان عبد الله الأصغر يأتي أباه وهو في صلاته فيدعوا له فيرى أن بركة دعائه أدركته[2] ،وقد حرص الفقهاء جاهدين على تأديب الأهل والولد فهذا عتيق بن يعقوب يقول سمعت مالك يقول: ينبغي للرجل أن يؤدب أهله وولده ومن تجب عليه فرضه ، حتى يكونوا له عونا على طاعة الله[3].

وكان الأبناء أيضا على دراية وعلم بالمناصب التي يتولاها أبائهم فكان إذا توفي الأب خلفه الابن خاصة في منصب القضاء إذ يذكر القاضي عياض انه لما توفي محمد بن البشير تولى ابنه سعيد مكانه في القضاء[4]، وأيضا أبو الحسين عمر بن قاضي القضاة أبي عمر محمد (ت 328ه/941م) كان يخلف أباه في قضائه وهو صغير السن ثم ولي قضاء مدينة المنصور،وبعد وفاة أبيه تقلد أبو الحسين جميع ما كان يتقلده أبوه من أعمال القضاء[5]، ومنهم من كان يعين أباه على العدل فقد أشار القاضي عياض عند ذكر سعيد بن محمد بن بشير أنه كان معينا لأبيه على العدل ، بصيرته من بصيرة أبيه في جميل المذهب واستقامة الطريقة [6].

والأمر الذي لفت انتباهنا في دراسة هذا الكتاب بصفة عامة وفي علاقة الفقهاء بأبنائهم بصفة خاصة أن جلّ الأبناء كانوا يأخذون ويسمعون ويروون العلم والفقه عن أبائهم، ونوه القاضي عياض إلى الكثير من الأمثلة على ذلك ، فيذكر انه كان لإبن غانم (ت190ه/ 807م) ابنان جليلان أبو عمرو غانم وأبو شراحيل وكان وهذا الأخير فقيها نظارا ورعا أديبا شاعرا[7]، ومن بين الذين رووا عن آبائهم ، أبو مروان عبد الملك بن أحمد

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04، ص74.
[2]- نفسه، ص 145.
[3]- نفسه ، ج03، ص173.
[4]- نفسه، ص 329.
[5]- نفسه ، ج05، ص 258.
[6]- نفسه ،ج04، ص119.
[7]- نفسه ، ج03 ، ص77.

بن محمد بن عبد الملك بن الاصبغ القرشي (ت436ه/ 1045م) روى عن أبيه كتابه[1]، وأيضا ابن الواقدي الذي روى عنه[2] .

وكذلك أبو القاسم عبد الرحمان بن المغيرة كان يروى عن مالك وأبيه[3]، وعبد الله بن الغازي بن قيس (ت230ه/845م)[4]، سمع من أبيه وقرأ عليه[5]، إلى جانب عبد الله التستري ت(345ه/984م) الذي حدث عنه ابنه [6] وكذا أبو الطاهر الذهلي (ت 367ه/ 978م) هو الآخر حدث عن أبيه[7]، أيضا أبو زيد بن أبي الغمر الذي روى عنه ابناه محمد و زيد[8] وحماد بن يحي له ابن اسمه الحسن روى عنه[9]، والأمثلة على ذلك كثيرة وما ذكرناه نقطة من بحر واسع.

علاوة على ذلك كان الفقهاء يشجعون ويساعدون أبناءهم على طلب العلم والتفرغ له دون سائر مشاغل الحياة ، فنشير هنا إلى عبد الله بن المبارك (ت 181ه/798م)[10] دفع إليه أبوه خميس ألف درهم يتجر بها فطلب العلم حتى أنفذها فلما انصرف لقيه أبوه ، فقال: ما جئت به ؟ فاخرج إليه الدفاتر، فقال هذه تجارتي فدخل أبوه المترل فاخرج له ثلاثين درهم أخرى ، وقال: خذ هذه فابتع تجارتك فأنفقتها [11] ، وكذلك عبد الله بن غانم القاضي (ت807/190م) ذكر بأنه كان له ابن جاءه من عند معلمه، فسأله عن سورته فقرأ عليه فأحسن، فدفع إليه عشرين دينارا أو نحوه فلما جاء بها الصبي إلى المعلم أنكرها، وظن بالصبي ظنا ، فجاء بها إلى ابن غانم فقال له: ابن غانم لعلك استقللتها ؟ فقال : لا ، فقال له : لحرف واحد مما علمته يعدل الدنيا وما

---

[1]- نفسه، ج08، ص28.

[2]- نفسه ، ج03،ص212.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03،ص08.

[4]- نفسه ،ص115.

[5]-. أبي الوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تح: بشار غـــوار معـــروف، ط1، دار الغـــرب الإســـلامي ،تـــونس، 1429ه/2008م ، مج1 ، ص289.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05، ص268..

[7]- نفسه، ص226 .

[8]- نفسه ، ج04، ص22.

[9]- نفسه ، ص98.

[10]- الذهبي، المصدر السابق ، ص274، ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص407.

[11]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص38،39.

فيها[1]. وأبو محمد عبد الله ابن إسحاق المعروف بابن التبان ، الذي حرضه أبوه على طلب العلم والتزم القيام بشؤونه

وتجدر بنا هنا الإشارة إلى أن هناك من الفقهاء من كانت بيوتهم بيوت علم حصلوا راية العلم بداية من الأب إلى الأبناء فالأحفاد، فقد أقام سؤود العلم في دار سحنون نحو مائة وثلاثين عاما، ابتداء من طلب سحنون وأخيه إلى موت ابن ابنه محمد بن محمد بن سحنون[2].ومروان ابن عبد الملك اللواتي فكان بيتهم بيت علم وجلالة [3].

بيد أن بعض الفقهاء لم يشهد علاقة بينه وبين أباه، من بينهم الفقيه يحي بن أزهر الذي عاش يتيما. [4]

3- المطلب الثاني: أسلوب المعيشة للفقهاء

1) اللباس :

أورد القاضي عياض في كتابه "ترتيب المدارك " أنواع من الملابس التي كان يرتديها الفقهاء والعلماء، بداية أردنا أن نتحدث عن مالك بن انس فقد كان يلبس أحسن الثياب[5] من بينها طيلسانا [6] طرازيا، وقلنسوة متركة وثيابا مروية جيادا [7] وكان حريصا وكان حريصا على النظافة [8] ، وقيل بأنه كان لا يلبس الخز ولا يرى لبسه، وكان يتطيب بالطيب الجيد ويقول: ما أحب لأحد انعم الله عليه ولا يرى اثر نعمته عليه[9] وبخاصة أهل العلم.

---

[1]- نفسه، ص 77.

[2]-القاضي عيا ، المصدر السابق ، ج04، ص 87.

[3]- نفسه ، ج 08، ص178.

[4]- نفسه، ج 03، ص64.

[5]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 84.

[6]- طيلسان: كساء مدور اخضر لا أسفل له لحمته أو سداه من الصوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو الطرحة التي توضع على الـــرأس والكتفين، وأحيانا على الكتفين فقط، أنقرة رجب جواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط1 ، دار الأفاق، القاهرة، ص 306.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج01، ص122.

[8]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص85.

[9]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص 122.

وكان لمالك قول عن اللباس فقد قال أبو عثمان حاتم سمعت مالكا يقول حياة الثوب طيب، وعيبه قصر أكمامه[1].

الأمر نفسه للفقهاء الآخرين فقد اهتموا أيضا باللباس وظهروا في الزي الحسن فقد قيل عن يحي بن يحي بن بكير (ت226ه/844م) انه لم ير محدثا أورع منه ولا أحسن لباسا منه [2]، وأشار القاضي عياض إلى أن بهلول بن راشد كان لا ينصرف إلا بثياب حسنة[3]، وقال بعضهم رأيت البهلول منصرفا إلى داره وعليه قلنسوة[4] خز[5] وساج طرازي وقميص تستري[6] ومنهم من كان مبالغا في حسن لباسه وحريصا على ذلك في حين انه كان يتقوت بأقل القوت فاهتم بذلك بمظهره أكثر من أكله مثل أبو عثمان الحداد (ت 330 هـ/ 942م) كان حسن اللباس جميل الزي مبالغا في ذلك يفوق فيه أهل اليسار، وكانت تقوم كسوته بعشرين دينارا، وكان يتقوت بأقل القوت ويقول: المروة في إظهار حسن الرياش وأما في المأكل والمشرب مما هو مستور فلا [7]، ولبس شجرة بن عيسى المعافري (ت 262 هـ/ 877م) الثياب الحسنة [8] .

ويبدوا أن الأثرياء كانوا يلبسون النعال المستوردة فقد لبس البهلول بن راشد في القيروان نعلا طائفيا [9]، وأيضا أبو الوليد ميقيل (ت 436 ه/ 1045م) لا لبس خفا إلا من جلود ميورقة [10].

وتعددت وتنوعت ملابس الفقهاء بين قلانس و شاشية و أقمصة وتعالِ ورداء... وقد ذكر القاضي عياض عن ابن بسطام أنه كانت لسحنون قلنسوة طويلة لبسها[11]، ولبس أيضا الشاشية[12]، وكان حسن اللباس[13]، كان له ساجا كحليا و ساجا أزرقا، ورداء وقلنسوة حبرة، وقلنسوة زرقاء، وشيا ، وقلنسوة تشبه الأغلبي فإذا

---

[1]- نفسه، ج03، ص 316.

[2]- نفسه، ص217.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 30.

[4]- قلنسوة: غطاء للرأس مختلف الأشكال والألوان، انظر : رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق ، ص 402.

[5]- الخز: كلمة فارسية معربة، واصلها في الفارسية كزّ ومعناها: ضرب من ثياب الحرير وقيل ثياب تنسج من صوف وحرير، نفسه 148.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج03، ص 90.

[7]- نفسه ،ج05، ص 85، 86.

[8]- نفسه ، ج04، ص 102.

[9]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 332.

[10]- القاضي عياض، المصدر السابق ، ج08، ص 34.

[11]- نفسه، ج03، ص53.

[12]- نفسه، ج04، ص54.

[13]- نفسه، ج03، ص53.

قعد للسماع لبس الرداء، وقلنسوة الأغلبي، وإذا شهد الجمعة لبس الساج وقلنسوة الحبرة، وإذا حضر جنازة لبس الساج الأزرق والقلنسوة الزرقاء هكذا أكثر فعله[1]، وهذا دليل على أنه كان يختار لباسه على حسب المناسبة التي سيكون حاضرا فيها.

وكان ابن الغانم يلبس من الثياب أرفعها ويجعل لخصومات النساء يوما يجلس فيه للنظر بينهن ، ويلبس يومئذ الفرو الخشن وخلق الثياب[2]، وكان على الهمة في زيه وكسوته، بحيث قدرت كسوتهم بأسعار غالية . فذكر القاضي عياض أنه كان من الهمة ، ولما مات قُوّمت كسوة ظهره بألف دينار[3]، ومن لباسه أيضا الرداء والنعال[4]، وكان من لباسهم كذلك العمامة فقد أشار عياض إلى أن مروان بن محمد الطاطري كان عليه عمامة[5].

وأيضا أبو عمر أشهب كان يلبس قلنسوة سوداء[6]، وأيضا ابن بشير (ت 198 ه/814م) فقبل استقضائه كان يفرق شعره إلى شحمة أذنيه ويلتحف رداء معصفرا، على الرسم والأقدام وكان حسن الزي، فتمادى على زيه في قضاءه[7]، وهناك من رآه في يوم الجمعة وعليه رداء معصفر، في رجليه حذاء صرار وعليه جمة مفروقة فكان يقوم ويخطب في زيه [8] وكان من لباسه أيضا الخز[9].

ولبسوا كذلك السراويل فقد ذكر الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان عبد الرحيم بن أحمد الكتامي عندما ولاّه يوسف بن تاشفين القضاء، فسنّ سننا وجعلهم يلبسون السراويلات نساء ورجالا و لم يكونوا يلبسونه من قبل[10]، وقد وهب أبو صالح أيوب بن سليمان (ت 321ه/934م) لابن عبد ربه لما ضاق به الحال منديلا

---

[1]- نفسه، ص53.
[2]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03،ص69.
[3]- نفسه ،ص76.
[4]- نفسه، ص 76.
[5]- نفسه، ص225.
[6]- نفسه ، ص265.
[7]- نفسه، ص335.
[8]- نفسه، ص335.
[9]- نفسه، ص336.
[10]- نفسه ، ج08،ص174.

[1] وزوج سراويل وقلنسوة وعمامة، وزوجا جرموق جديدان، وجوربين وزوجا خف جديدان[2]، وكذلك منح سالم بن حماس بن مروان (ت 307ه/ 920م) لهارون الأندلسي دراعة وجبة صوف ومنديلا وسراويل[3]، ولبسوا أيضا البرانيس كعبد العزيز السوسي[4]، وسحنون الذي كان له برنس أسود يلبسه في المطر والبرد[5].

وبخصوص الفقهاء الزهاد فقد كانوا متقشفين في لباسهم كحماس بن مروان بن سماك الهمداني (ت 303ه/916م) كان يلبس الصوف وربما لبس قميصا وغلالة ومنديلا والمئزر في وسطه[6]، وكان سحنون من كثرة زهده يتخشن في الملبس والمطعم [7]، ومن الفقهاء من كان لا يملك إلا ثوبين مثل شجرة بن عيسى المعافري[8]، إلى جانب عبد الملك بن الماجشون روي عنه أنه قال: مالي إلا قميص [9]، ومن الفقهاء من كان لا يبالي بلبس الرث من الثياب في بعض الأحيان فهذا أبو إسحاق الجبنياني كان لباسه أولا صوفا من موضع يعرف أصله ، فلما تغيرت الأمور- الفتن- كان يلبس خرق المزابل يجمعها فيغسلها ويبطن بعضها على بعض فيجعل منها شيئا في وسطه وشيئا على ظهره ويخيطهما بمسلة[10].

ويبدو أن البعض الآخر قد فصل بين لباسه مثل ابن طالب القاضي – قاضي القيروان – فذكر أنه خرج يوما في ثوب البيت وهذا يدل على أن الناس – على الأقل بعضهم- كانوا يرتدون ملابس خاصة بالمنزل وربما خاصة بالنوم[11]، وأيضا أبو الفضل الممسى (ت 333ه/945م) الذي كان له نعل لبيت مائه وآخر لمشيه في داره وآخر يمشي به إلى مصلاه[12].

---

[1]- منديلا: والمنديل لباس صوفي يغطي الرأس ويتدلى على الكتفين والظهر ويمكن أن يكون المنديل عمامة أو زنارا يتمنطقون به من نفس نـــوع القماش الذي يلبسونه، انظر : جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص330.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج05، ص149.

[3]- نفسه ، ص 127.

[4]- نفسه ، ج08، ص167.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04، ص54.

[6]- نفسه ، ج05، ص69.

[7]- نفسه، ج03، ص48.

[8]- نفسه، ج04، ص92.

[9]- نفسه، ج03، ص144.

[10]- نفسه ،ج06، ص 226، 227.

[11]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق. ص 332.

[12]- القاضي عياض، المصدر السابق ، ج05 ، ص301.

وهناك لباس ميّز بين مختلف الفئات فقد كان لباس القلانس الطوال زيا للشيوخ والفقهاء والعدول أمثال أبو بكر يعيش بن محمد بن منذر الاسدي الذي كان لا يفارق زي العلماء[1]، وعمر بن عبد الله بن يزيد الصدفي أبو حفص (ت 343 ه/ 982م) الذي كان يتزيا بزي التجار ليخفي بذلك نفسه فلا يعرفه أحد بذلك الزي[2] أما إبراهيم بن إسحاق التونسي (ت 352ه / 964م) قال أن للحاضرة ثيابا لا تلبس بالبادية وثيابا للبادية لا تلبس للحاضرة [3]ومنهم من رُغم على لباس ما لا يرغب فيه مثل الحارث بن مسكين الذي دعى إلى لباس السواد[4].

2) الأكل :

يعتبر الأكل أحد الخصوصيات الاجتماعية التي يتميز بها أفراد المجتمع تبعا لمستواهم المعيشي، فمصدر رزقهم هو الذي يحدد نوعية أكلهم لكن إذا جئنا للتحدث عن الفقهاء فنجدهم عكس ذلك، فهناك من الفقهاء من كان يحتل مناصب عالية في الدولة لكن تجده بسيط ومتواضع في معيشته زاهدا ومقتصدا في لباسه، متقشفا في أكله، وهذه العلاقة الطردية نجدها عند فئة خاصة وهي فئة الفقهاء والعلماء الزهاد، الذين زهدوا في الدنيا تقربا إلى الله تعالى .

صور لنا القاضي عياض من خلال ترجمته لأعلام المالكية الطعام و الأكل الذي كان يتقوت به هؤلاء الفقهاء ومنهم أبو العباس عبد الله ابن إبراهيم الابياني (ت352ه/964م) [5]، كان غذاؤه نصف حجلة تثرد[6]، له في نصف خبزة ، وكان متحفظا في طعامه كثير الحمية [7] ، وأيضا أبو الوليد بن ميقيل (ت436ه/ 1071م) لم يأكل لحما منذ وقعت الفتنة إلا من طير أو حوت أو صيد[8]، وكان من أكلهم أيضا الهريسة فيذكر القاضي عياض أنّ يعقوب بن إسماعيل كان في صحبة المعتصم ، فقدم له أثناء العشاء الهريسة، فقال

---

[1]- نفسه، ج08، ص41.

[2]- نفسه، ج06، ص50.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06،ص 16.

[4]- نفسه ،ج 04، ص30.

[5]- أبي إسحاق الشيرازي الشافعي ، طبقات الفقهاء ، تح: إحسان عباس ، د ط ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ص160، عياض المصدر السابق ج06، ص 14.

[6]- الثريد : وهو الخبز يفتت ويبل بالمرق ، ويوضع فوقه اللحم ، انظر : حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني و الثقافي والاجتماعي ، ط14 ، دار الجيل ، بيروت ، 1416ه/1992م ،ج01، ص442.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص15 .

[8]- نفسه ، ج08 ، ص34 .

المعتصم: ليست بطيبة فأكلها يعقوب[1] ، وقال لابنه يعقوب بن إسماعيل أهل البيت إذا لم يأكلوا أو يصطلوا كأنهم غضاب[2].

ومن ألوان طعامهم أيضا أكل اللحم ، فقد ذكر أن ابن غانم القاضي مرّ يوما بالسوق، والبهلول يشتري لحما من جزار ، فقال ابن راشد له: إني اشتريت لحما[3]، وكانت الكنافة أيضا من ضمن طعامهم[4]، وأيضا أكل التفاح الحلو ، وحسو البيض الخفيف أمثال الفقيه محمد بن عيسى الأعشى[5]، ومن أكلهم كذلك الدقيق والسويق[6]، فقد قال : أبو الفضل مولى نجم: كان ابن القاسم يأكل في الشهر عشرين مدا من الدقيق[7]، وكان أيضا الزيت أيضا من أكلهم فقد قال بعضهم أن البهلول دفع إلى بعض أصحابه دينارين ليشري له بهما زيتا يستغذبه[8] .

ومنهم من كان ينفق كثيرا على مائدته فقد ذكر ابن أبي مريم انه كان ينفق كل يوم على مائدته عشرة مثاقيل[9]، وكان أحمد بن عبد الله بن سعيد يعرف بابن العطار (ت345 ه/984م) موصوفا بكثرة الأكل والنهم[10] .

ومن الأمثلة التي تبين لنا الزهد الكبير الذي وصل إليه الفقهاء الصالحين وهو الغاية في الزهد ما كان يفعله الفقيه أبو إسحاق الجبنياني (ت369ه/980م) فقد كان اشد الناس في التضييق على نفسه ثم على أهله وكان يأكل البقل البري والجراد إذا وجده ويطحن قوته بيده شعيرا ثم يجعله بنخالته دقيقا في قدر مع وجد من بقل بري أو غيره حتى أنه ربما رمي منه شيئا لكلب أو هر فلا يأكله[11].

---

[1]- نفسه ، ج04 ، ص16.

[2]- نفسه ، ص 16.

[3]- نفسه ، ج03 ، ص74.

[4]- نفسه ، ص76.

[5]-القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج03 ، ص122.

[6]- نفسه ، ص168.

[7]- نفسه، ص259.

[8]- نفسه ، ص98 .

[9]- نفسه، ص 267.

[10]- نفسه ، ج06 ،ص147.

[11]- نفسه ، ص 226، 227.

وذكر القاضي عياض أن سحنون كان يشتري كل يوم ربع رطل من اللحم يفطر عليه ثم تركه اقتداء بالصالحين في مطعمهم[1]، فكان بعد ذلك أكله من خبز الشعير والزيت القديم[2]، وكان يتخشن في الطعام[3]، وكان أيضا من ضمن أكله الذي بيّن زهده أكل الخبز الذي يبل بالماء ويغطس في الملح[4].

ومن الفقهاء من كان متقشفا في أكله فيروي القاضي عياض أن البهلول بن راشد دخل على ابن غانم القاضي وقت المغرب في رمضان و لم يأكل، فكلمه في ذلك ابن غانم القاضي وقال: أنا سلطان؟ طعامي حرام ؟ ألست بصائم ؟ فاعتذر له البهلول وقال : طعام لا أجد في بيتي مثله وإن تكلفته شق علي وأنا أكره أن يشق علي[5] فكانوا بذلك يأكلون ما تيسر من الطعام فقد ذكر عن ابن القاسم أنه اشترى طعام كثير الغلث، فقيل له فهلا كان أطيب من هذا؟ فقال: إني رضيت باليسير ما يكفيني من الدنيا لنفسي فاستجزيت به [6]، ومنهم من كان لا يأكل طعام الوزراء، أشار عياض إلى أن الفقهاء والعلماء كانوا يأكلون طعام علي بن حميد الوزير، خلا سحنون وابنه فلم يكن يأتيهم ولا يأكل طعامهم[7].

وفي المقابل نجد من الفقهاء من كان يثبت ويتحرى أشد التحري في مطعمه ومشربه، فمن خلال ما ورد عن القاضي عياض في مداركه عن يوسف بن عمرو (ت 205ه/821م) قيل أنه مرض مرضا شديدا فلما نقه اشتهى رطبا فأوتي له منه من السوق ، فأكله وغلبته شهوته ، وكان لا يأكل شيئا حتى يبحث عن أصله[8]، نفس الأمر إلى الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي (ت 356ه/ 968م) كان خبر السبائي السميد ولا يأكل إلا أكلا طيبا علم طيبه وطيب أصله[9]، وذكر بأنّه ذبح له كبش في عيد الأضحى، فشوي له من زيادة كبده، فدخل إلى البيت ليأكل فخرج وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فسأله خادمه لماذا قال، قال:

---

[1]- نفسه ، ج04، ص55.

[2]- نفسه، ص54.

[3]- نفسه، ص48.

[4]- نفسه، ص80.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص92.

[6]- نفسه، ص253.

[7]- نفسه، ج04، ص79.

[8]- نفسه، ج03، ص285.

[9]- نفسه ، ج06، ص58.

أحسست كأن الشوك في حلقي، وسأل عن الشاة فإذا هي هربت منه وبدلت بغيرها [1]، وكان يشتهي الماء البارد وسأل عما يبرده فقالوا له : الزقاق الشركية[2].

وهناك بعض الإشارات التي تدل على أن بعض الفقهاء كانوا يعدون الطعام بأنفسهم مثل أبو الفضل يوسف بن مسرور الذي كان يخبز قوته، ويثرده سخنا بالزيت ويجعله في إناء ويفطر كل ليلة على شيء منه[3] ، بالإضافة إلى أن عون قال عن البهلول بن راشد أنه صنع طعاما وأحضر له جماعة من أصحابه ...[4] دليل على أنه كان يحضره بنفسه.

ومن مظاهر كرمهم وجودهم الحث على إطعام من دخل البيت وقد قال في ذلك الفقيه ابن المبارك أشكر لمن أكلا واحلف على من أبى الأكل، وقال شعرا في ذلك :

قرب طعامك وابذله لمن دخـــــــــــــــــــــــــلا واحلف على من أبى وأشكر من أكلا

ولا تكن سامري العرض محتشما من القليل فلست الدهر محتفلا[5]

ويبدوا أن آدابهم في إكرام الضيف أن يتناول المضيف الطعام مع الضيف حتى إذا ما انتهيا رفع ما تبقى من الطعام إلى باقي أفراد العائلة[6].

والظاهر أن بعض الفقهاء حرصوا على التصدق بالأكل فقد حكى أبو محمد بن أبي زيد أن ابن القاسم كان يتصدق بنصف قوته ، يعمله كعكا صغيرا ، فإذا به السائل أعطاه كعكة صغيرة ، وأنه باع نصف قوته سنة فاشترى به تمرا يعطي السائل تمرة تمرة [7]،وأيضا ابن أبي مريم السالف الذكر كان يتصدق بالطعام عندما حلت المجاعة بمصر [8] أما عون بن يوسف فقد كانت عنده قفة تين إذا جاءه السائل أعطاه تنتين لا يزيد عليهما ولا يرد السائل [9] .

---

[1]- نفسه ، ص59.

[2]- نفسه، ص62.

[3]- نفسه، ج05 ، ص143.

[4]- نفسه، ج03، ص90.

[5]- القاضي عياض، المصدر السابق ، ج03، ص48.

[6]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص307.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص258.

[8]- نفسه ، ص267,

[9]- نفسه ،ص90.

وكان لهؤلاء –الفقهاء– أيضا بعض الأقوال في المأكولات ، فمثلا رأى الفقيه ابن وهب رجل يمضغ اللبان فقال له: إنه يقسي القلب، ويضعف البصر ويكثر القمل[1].

أما عن طريقة الأكل عند مالك ذكرها أبو عثمان حاتم بحيث قال: أكلت مع مالك فرأيته يأكل بثلاثة أصابع[2]، وكان لمالك كل يوم في لحمه درهمان وكان يأمر خبازه مسلمة في كل جمعة أن يعمل له ولعياله طعاما كثيرا، وسئل عن شرابه فقال: في الصيف السكر وفي الشتاء العسل وكان يعجبه الموز[3].

وربما كان الأكل أيضا يدفع على شكل أجر فقد دفع ابن غانم لأبي الوزن خمسة أقفزة قمحا وخمسين قفيزا زيتا[4].

3) الحرف والصناعات :

اهتم فقهاء المالكية في غالب أوقاتهم بالجانب العلمي من سماع ورواية وفتيا إلا أن هذا الأمر لم يمنعهم من مزاولة العديد من الحرف الصناعات التي كانت السبيل الوحيد إلى قوتهم خاصة أن معظمهم لم يكن يقبل المنح أو الجوائز أو الرواتب عند توليهم الخطط سواء الدينية والحضارية، وقد أشار القاضي عياض إلى عدد من الحرف والصناعات في كتابه ترتيب المدارك وكان يقوم بها عدد كبير من الفقهاء والقضاة.

فمنهم من اشتغل بمهنة الخياطة أمثال سعيد بن عيسى بن تليد (ت 219 ه/835م) عن قول أبو عمر الكندي بحيث كان أول شأنه خياطا قبل أن يوليه لهيعة بن عيسى على مسائله [5]، إلى جانب أبو سنان زيد بن سنان الأسدي (ت244ه/ 299م) الذي كان خياطا [6]، ويمكن ان تكون الخياطة من المهن التي امتهنها البهلول بن راشد فقد قال كنت عند معلمي أخيط[7].

---

[1]- نفسه، ج03، ص239.

[2]- نفسه ،ج03، ص316.

[3]- نفسه، ج01، ص125.

[4]- نفسه، ج03، ص76.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج 04 ، ص26.

[6]- نفسه، ص103.

[7]- نفسه، ج03، ص97.

ومنهم من مال إلى الطب كعبد الملك بن أبي بكر بن زهر الذي مال إلى الطب ففاق فيه بعد أن اقتطع بنو عباد أموالهم و استصفوها في الفتنة التي قاموا بها في إشبيلية [1] وكذا أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بالجزار (ت369ه/980م)كان هو الأخر طبيبا مشهورا بالطب مع الإلمام بسائر المعارف والثقافات السائدة في وقته [2]، كما كان عبد الملك بن حبيب بن سليمان (ت238ه/853م) طبيبا [3]، أما بالنسبة لمفضل بن فضالة فقد عمل جبارا على قول ابن شاهين أنه كان إذا جاءه رجل قد انكسرت يده أو رجله جبرها وكان يصنع أيضا الأرحية [4].

ويبدو أن بعض الفقهاء فضلوا مجال التجارة فشغلوها منهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز (ت303/916م) يعرف بالحراني لأنه كان يتجر بالزرنيخ ، والمرتك وشبهه، وأهل مصر يسمون من يتجر بهذا حراني[5]، كذلك سليمان بن القاسم كان قد اشترى تجارة فبيعت بعد موته بألف وهذا يدل على أنه كان تاجرا[6]، الأمر نفسه إلى حماد بن يحي الذي كان هو الآخر تاجرا[7] وأبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن هلال الغزوي (ت486ه/1094م) اشتغل بالتجارة فطاف بلاد المغرب والأندلس [8]، وسعيد بن إبراهيم بن جماح أبو عثمان دخل القيروان طالبا وتاجرا [9]، والقاضي عبود بن سعيد التنوخي المعروف بابن العطار كان يشتغل بالقراءة والتجارة [10] وكذا القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البصري (ت 512/1119م) كان يشتغل بالفقه والتجارة في القيسارية في حانوت[11] .

وفي المقابل هناك من اشتغل بتغسيل الموتى مثل ابن فروخ الذي كان يغسل الأموات ولا يولي ذلك غيره ويحملها إلى قبرها [12]، إضافة إلى أبو عمر أحمد بن عفيف (ت410ه/ 1020م) الذي كان يغسل الموتى ،

---

[1]- نفسه ،ج08، ص29.
[2]- المالكي ، المصدر السابق ، ج01، ص16,
[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ن ج04، ص125،126.
[4]- نفسه ، ج03، ص276.
[5]- نفسه، ج 05، ص 65، 66.
[6]- نفسه، ج03، ص 64.
[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص 98.
[8]- نفسه، ج8، ص 113.
[9]- نفسه، ص 169.
[10]- نفسه ، ص197.
[11]- نفسه، ص 199.
[12]- نفسه ، ج03، ص109.

وله كتاب في ذلك سماه كتاب الجنائز[1]، وأيضا أبو عثمان سعيد بن محسن الغاسل الذي كان يختص بغسل موتى أولي النباهة[2].

كما اشتغل الفقهاء بأنواع أخرى من الحرف والصناعات كمعن بن عيسى بن يحي بن دينار القزاز حيث كان يبيع القز[3]، وعبد الرحمان بن مهدي كان يبيع الجوهر وأبوه طحان[4]، وأيضا عبد الله بن نافع (ت 186ه/803م) الذي كان يعرف بالصائغ ، وكان أبوه صائغ[5]، وربما هذا يدل على انه امتهن مهنة أبوه الصياغة، وأبو الطيب بن راهويه (ت 336ه/ 948م) تعلم الوراقة، فكان يورق ويأكل من كد يمينه[6]، وأيضا نفيس الغرابلي السوسي (ت309ه/ 922م) كان يعمل الغرابيل ويعيش منها وكان قليل ذات اليد[7]، وأبو مروان بن مالك (ت 460 ه/ 1069م) علق بصناعة فتل الحرير فتعلق آنذاك بالطلب فانقطع إليه[8] وأبو الوليد الباجي (ت474ه/ 1082م) تولى ضرب ورق الذهب للغزل والإنزال[9]، وأبو عبد الله بن الحذاء (ت 416ه/ 1026م) اشتهر نسبهم بالحذاء الذي ينسبون إليه هذا يعرف بأنجشة حادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: ولكن لما سكن أولتا في ريض الحذائين بقرطبة تصحف على الناس نسبنا لقرب الحرفيين[10] كما احترف عبد الله بن محمد الصابوني (ت378ه/989م) مهنة الصابون ، فكان له دكاكين يضع فيها خدمة الصابون ومنه عيشه [11] كما أن مالك اشتغل مع أخيه في بيع البز[12].

4) المسكن :

---

[1]- نفسه ، ج08، ص09.

[2]- نفسه، ج07، ص191.

[3]- نفسه، ج03، ص148.

[4]- نفسه ، ص207.

[5]- نفسه، ص130، ابن فرحون، المصدر السابق، ص409.

[6]- نفسه ، ج05، ص21.

[7]- نفسه،ص115.

[8]- نفسه، ج08، ص136.

[9]-القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08 ، ص121.

[10]- نفسه، ص05

[11]- نفسه، ج07 ، 201، 202.

[12]- نفسه، ج01، ص125.

لم تولي كتب الطبقات والتراجم عناية كبيرة بهذا الجانب إلا أنها أوردت بعض الإشارات القليلة، وفي كتابنا هذا تطرق عياض إلى ذكر الموطن الذي سكن فيه الفقيه أكثر من حال السكن في حد ذاته.

ومن أمثلة ذلك عبد الله بن أبان بن عيسى الغافقي (ت 395ه/ 1006م) ، سكن بالزقاق الكبير بقرطبة في دور آبائه وأجداده [1]، وأبو جعفر أحمد بن محمد القرشي المغرياني الذي كان يسكن في منزل له بمغريانة[2]، إلى جانب طالوت بن عبد الجبار المعافري كان ينسب إليه المسجد والحفرة بداخل مدينة قرطبة وهناك كان مسكنه[3].

وكذلك عبد الرحمان بن موسى الهواري كان يسكن بعض قرى مورور ثم انتقل إلى إستجة[4] أما من الذين توفر لهم السكن الفاخر أبو الفضل يوسف بن مسرور الذي يسكن قصر سهل[5] وسكن أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي(ت210ه/826م) بحصن بجهة صفاقص[6] ويبدو أن هناك من سكن مع أخيه في دار واحدة كالفقيه ابن معذل[7].

ونشير إلى بعض الفقهاء الذين سكنوا البوادي أمثال حماس بن مروان بن سماك الهمداني (ت303ه/ 916م) كان إذا خرج إلى منزله بالبادية خرج على حمار بشند دون خف[8]، وأبو عباس الفضل عباس بن عيسى الممسى (ت333ه/945م)[9]، نسب إلى قرية ممس وهي قرية بالمغرب[10]، وأبو عبد الملك الملشوني وابنه إسحاق[11]، اللذان نسبا إلى ملشون وهي قرية ببسكرة[12] وكذلك أبو إسحاق الجبنياني (ت 309ه/ 922م)[13]، نسبة إلى

---

[1]- نفسه ، ج04 ، ص382.
[2]- نفسه ،ج05، ص136.
[3]- نفسه، ج03 ، ص340.
[4]- نفسه، ص343.
[5]- نفسه، ج05، ص144.
[6]- نفسه، 03، ص317.
[7]- نفسه، ج04، ص08
[8]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05،ص71.
[9]- نفسه ، ص297.
[10]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص198.
[11]- المالكي ، المصدر السابق ،ج01، ص401.
[12]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص192.
[13]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج06، ص222.

قرية جبنيانة قرب سفاقس[1]، وأيضا أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد الحضرمي المعروف باللبيدي (ت440ه/ 1049م) [2]، نسبة لقرية لبيدة[3]، وأيضا أبو العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق المعروف بالإبياني (ت352ه/ 964م) [4] نسبة لقرية ابيانة.

كما أورد جملة من المناطق التي سكن فيها الفقهاء ، مثل بغداد التي سكن بها محمد بن واقد الواقدي[5]، وزكريا بن منظور بن ثعلبة الذي سكن هو الآخر ببغداد[6]، وسكن عبد الله بن مسلمة بن قعنب التميمي (ت 221ه/ 837م) البصرة وأصله مدني [7].

وسكن عبد الرحمان بن قاسم العتقي (ت191ه/ 808م) الذي أصله من الشام من فلسطين بمصر[8]، وسكن عبد الرحيم بن أشرس بتونس[9]، وأيضا علي بن زياد التونسي العبسي سكن هو الآخر في تونس[10]، وأبو البشر مطر بن يسار (ت326ه/ 939م) أيضا استوطن بها[11]، وعمر بن يوسف بن عبدوس بن عيسى (ت290ه/904م) سكن سوسة القيروان[12] ،كما سكن عبد العزيز الدراوردي أبو محمد جهينة وبها كان مترله[13].

ومن الذين سكنوا بالإسكندرية عبد الحكم بن أعين ابن الليث القرشي وابنه وأصلهم من أيلة [14]، والأمر نفسه إلى الفقيه طيب بن كامل اللخمي الذي سكن الإسكندرية ويقال بأن أصله أندلسي[15] ، وكان عبد الله

---

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص156.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج07، ص254، المالكي، المصدر السابق ،ج01، ص 18.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص508.

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج06،ص10.

[5]- نفسه، ج03، ص210.

[6]- نفسه، ص17.

[7]- نفسه، ص198.

[8]- نفسه، ص244.

[9]- نفسه، ص85.

[10]- نفسه، ص80.

[11]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05، ص143.

[12]-نفسه، ص125.

[13]- نفسه ، ج03 ، ص13.

[14]- نفسه، ص60.

[15]- نفسه، ص61.

بن حسان اليحصبي (ت 226ه/ 842م) يسكن بالقيروان بحارة يحصب[1]، المنسوبة إليهم دليل على أن بعض الفقهاء نسبوا إلى المنطقة التي سكنوها.

وأقام بالأندلس العديد من فقهاء المالكية نذكر منهم عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج (ت310ه/ 1020م) من شذونة وسكن قرطبة[2]، وأصبغ بن مالك بن موسى الزاهر (ت304ه/ 917م) أصله من قيرة وسكن قرطبة[3]، كذلك محمد بن زيد بن أبي خالد (ت319ه/ 932م) سكن البيرة وأصله من سرقسطة[4]، ومحمد بن عبد الله بن محمد ابن القوق الخولاني (ت 308ه/ 921م) من باجة وسكن اشبيلية [5]، وسكن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان التنسي (ت387ه/ 998م) الزهراء[6]، وكذلك سعيد بن موسى بن يونس بن مهص الغساني ألبيري لزم تطيلة مرابطا بها وبالثغر إلى أن توفي سنة (ت393ه/ 951م)[7].

وسكن أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان ابن أسد الجهني طليطلي بقرطبة [8]، وأبو المطرف عبد الرحمان بن سعيد بن جرج (ت339ه/ 951م) أصله من ألبيرة وسكن قرطبة [9] وأبو القاسم المهلب بن أحمد بن السيد بن أبي صفرة التميمي (ت333ه/ 945م) سكن ألمرية[10].

وهناك من سكن عدة مدن كأبو عمر الطلمنكي (ت529ه/ 1153م) سكن بقرطبة ثم سكن ألمرية ثم سكن مرسية ثم سرقسطة ، ثم عاد إلى بلده طلمنكة[11]، وهذا ربما راجع إلى رحلاته العلمية.

وقيل بأن مالك كان قليل الشيء يظهر التجمل، ضيق الأمر لم يكن له منزل كان يسكن بكراء إلى أن مات[12]. والأمثلة كثيرة على ذلك لمن أراد الاستزادة عليه بكتب التراجم والطبقات.

---

[1]- نفسه ، ص310.
[2]- نفسه، ج05، ص172.
[3]- نفسه، ص174.
[4]- نفسه، ص223.
[5]- نفسه، ص234.
[6]- نفسه، ج06، ص299.
[7]- نفسه، ج07، ص208.
[8]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج07، ص 209.
[9]- نفسه، ج08، ص 19.
[10]- نفسه، ص 35.
[11]- نفسه، ج08، ص 33.
[12]- نفسه، ج01، ص124.

4- المطلب الثالث: المكانة الاجتماعية للفقهاء.

1) مكانتهم عند الحكام والأمراء:

أشار القاضي عياض إلى المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها الفقهاء والعلماء في ظل الحكام والأمراء، فقد اهتموا بهم وشجعوهم، وبذلوا لهم العطاء، ورفعوا مكانتهم وقربوهم منهم.

فمنهم قاسم بن خلف بن فتح الجبيري (ت 378 ه/ 989م) الذي كانت له مكانة عالية عند الحكم المستنصر وأسكنه معه الزهراء، وتوسع له[1].

و عبد الله بن غانم القاضي (ت 181 ه/ 798م)[2]، كان من إكرام الخليفة له، إذا كُتب كتابا لإبراهيم بن الأغلب يقول له فيه: وأنا لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك إلى كتاب ابن غانم، فكان إبراهيم أكثر الناس مداراة وتعظيما له[3].

أما يحي بن يحي الليثي (ت 234 ه/ 849م)، فقد كان الأمير عبد الرحمن بن الحكم يبجله تبجيل الأب ولا يرجع عن قوله ويستشيره فمن يوليه وفيمن يعزله[4].

وكذلك أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن شبطون اللخمي (ت 312ه/925م)، بحيث قام الأمير المنذر بإرساله إلى الاستسقاء بالناس، فأتيح له أن يسقي الناس وهو في المصلى فتيمنوا به ونظرا لصفاته الجليلة جعلت له مكانة عند العامة وعند الحكام[5]. وأما أسلم بن عبد العزيز (ت 310ه/923م) فقد كان الناصر لدين الله يستخلفه في سطح القصر إذا خرج لمغازيه[6].

وهذا زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون (ت 193 ه/ 810م)، الذي كان الأمير هشام يؤثره ويكرمه ويستنيم إليه، ويخلوا به و يسائله عما يعرض له من أمور دينه، فيأخذ برأيه، ويبالغ في بره، ويدفع إليه المال يتصدق به، وربما اجتاز به ليلا فيخرج إليه ويسلم عليه ويحادثه[7].

---

[1]-نفسه ، ج08، ص06.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق ، ج 01، ص30.

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج03، ص 69.

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق ، ج03،ص 382 .

[5]- نفسه ، ج05، ص 189، 190.

[6]- نفسه، ص 194، 195.

[7]- نفسه، ج03، ص 119.

إلى جانب أبو عبد الله بن عتاب بن محسن (ت 462 ه/ 1070م) كان رئيس البلاد ابن جهور ينزل إلى مسجده في بعض الأحيان لمهم الأمور، يأخذ فيها رأيه هناك وربما جمع إليه بقية فقهاء الشورى فيقضي قضائه وينفذ أحكامه هنالك[1] ، وأيضا محمد بن عبد الله بن عبد البر (ت 341 ه/953م)، كانت له منزلة من الحكم المستنصر ومحل لطيف ولقد عتب عليه في شيء فأقسم أن لا يطأ عتبة مجلسه سنة ثم لم يتصبر عنه، فجعل يستحضره وينصب له كرسيا خارج المجلس يجلس عليه إلى أن اكتملت السنة، وعاد لعادته[2].

والقاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب (ت 381ه/992م) كان أبي عامر يعظمه ويستحسنه ويتحرك إليه إذا أتاه ويجلسه معه في فراشه وبعد وفاته كتب ابن عامر لورثته كتاب حفظ وعناية انتفعوا به وتفقدهم في حياته واستدعى ابنه محمد وهو طفل ابن ثلاثة أعوام فوصله بثلاثة آلاف دينار، وألطاف قيمتها ألف دينار[3]. كما كان إبراهيم بن حسين بن عاصم (ت: 256 ه/ 871م) يتصرف للسلطان في أمور كثيرة، حتى أنّه كان يقتل ويصلب بلا مشاورة من الأمير محمد بن الأغلب[4].

2) مكانتهم عند العامة :

إذا كان للعلماء والفقهاء مكانة مرموقة عند الحكام، فلهم مثل ذلك عند العامة من الناس، فهذا عبد الملك بن حبيب (ت 239ه/854م) كان يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلاثمائة بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب[5]، وأيضا عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (ت 197ه/ 814م) الذي اجتمع على بابه خلق كثير، فقام ليفتح الباب فلما فتحه ازدحموا للدخول، فسقط وشج وجهه، فقال ما هذا إلا الخفة وقلّة الوقار، والله لا أسمعتكم حرفا، ثم قعد فقعدوا فلما رأى ما بهم من الهدوء كفر عن يمينه وأسمعهم[6].

---

[1]- نفسه ، ج08، 133.

[2]- نفسه ، ج06، ص 118، 119.

[3]-القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج 07، ص 117، 118.

[4]-نفسه، ج 04 ، ص 254.

[5]-نفسه، ص124.

[6]-نفسه، ج03، ص 238، 239.

وأيضا محمد بن نظيف (ت 355ه/ 967م) الذي ذكره عياض بأنّه جاء يوما لحضور بيع كتب، و في المجلس جماعة من العلماء والصالحين، فلما رأوه وقفوا كلهم على أرجلهم تعظيما له وكانت له هيبته لم تكن لأحد في وقته[1].

وأيضا عبد الله بن محمد الصابوني (ت 378 ه/989م) كان حسن التأني للناس والإصلاح بينهم وكان الحكام يوجهون إليه المتشاكسين من الخصوم لحسن وساطته[2]، وكذلك القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب (ت 381ه/992م) تفاقده الناس عند موته وأثنوا عليه حسنا[3].

3- مظاهر التأثير العلمي على الجانب الاجتماعي للفقهاء :

مما لا شك فيه أن المكانة العلمية والدينية التي حظي بها الفقهاء مكنتهم من تبوأ العديد من المناصب الإدارية وكان لهاته الأخيرة أثر إيجابي على تعاظم تأثيرهم في شتى الجوانب الاجتماعية وارتقاء مكانتهم بين الناس ولعل أهمها ما يلي:

أ. **القضاء:**

أشار القاضي عياض إلى جملة من الفقهاء الذين تولوا مناصب القضاء ولعل أبرزهم عبد الله بن غانم (ت 190هـ / 807م) ولاه الرشيد على قضاء إفريقية، وقيل ولاه أمير إفريقية روح بن حاتم المهلبي، أشار عليه ابن فروخ الفقيه لما امتنع هو أن يلي القضاء[4]، ولم يزل ابن غانم عن القضاء إلى أن توفي وكان عادلا في قضائه[5]، وأيضا أسلم بن عبد العزيز (ت 317هـ/ 930م) الذي تولى قضاء الجماعة[6]، لنصر الدين الله أول ولايته وسط سنة ثلاثمائة فكان قاضيا مهيبا صليب القناة حسن السيرة، وكان قعوده للقضاء في أسطوان داره[7]، كذلك محمد بن عبد الله بن غالب الهمداني ولي قضاء سبتة وبعد هذا ولي قضاء الجماعة وكان حسن

---

[1]- نفسه ، ج 06 ، ص 207.

[2]- نفسه، ج07، ص 202

[3]- نفسه، ص 117.

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج 03، ص68.

[5]- نفسه، ص 65.

[6]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 01، ص141.

[7]- القاضي عياض، المصدر السابق،ح01، ص 195.194.

السيرة في قضائه[1]، وولي محمد بن واقد بن الواقدي قضاء بغداد بعسكر المهدي وقبله للرشيد[2]، إضافة إلى سحنون الذي تولى قضاء إفريقية إلى أن مات[3].

وهناك من تعاقب على منصب القضاء بالوراثة كشجرة بن عيسى المعافري الذي تولى قضاء تونس أيام سحنون وقبله وخلفه ابنه أبو شجرة عمرو بن شجرة[4]، الأمر نفسه إلى سعيد بن محمد بن بشير وابنه الذي ولي قضاء قرطبة[5].

ويبدو أن هناك من تولى القضاء كارها كخلف بن مروان بن أمية بن حيوة الصخري (ت401هـ/ 1011م) قلده المظفر قضاء طليطلة وأعمالها كرها، فحكم بين أهلها مقسط وأقام بها مستعفيا إلى أن وفاه الصرف بعد حول[6]، إلى جانب أبو علي الصدفي(ت 514هـ/1121م) ولي قضاء مرسية بعد أن أجبر على عمله ثم أنه استعفي وتغيب فلم يوقع له على خبر من ولاة أمير المسلمين وأعفاه[7].

ومن جهة أخرى هناك من عرض عليه هذا المنصب إلا أنه أبى توليه والأمثلة على ذلك كثيرة منهم يحي بن يحي الليثي (ت 234ه/ 849م)[8]، بحيث عرض عليه تولي القضاء من طرف الأمير عبد الرحمان بن عبد الحكم إلا أنه أبى ذلك[9]، أما عن المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي (ت 188هـ/805م) فقد عرض عليه الرشيد قضاء المدينة فأبى وقال له: لأن يخنقني الشيطان أحب إلي من أن ألي القضاء فأعفاه[10]، وأبو عبد الله بن عتاب بن محسن (ت 462هـ/ 1070م) عرض عليه ابن جهور تولي القضاء فلم يجبه رغم ذهابه إليه

---

[1]- نفسه، ج 08، ص170.

[2]- نفسه، ج 03، ص 210.

[3]- نفسه، ج 04، ص 55.

[4]- نفسه، ص 102.

[5]- نفسه، ص 119.

[6]- نفسه ، ج 08، ص 25.

[7]- نفسه، ص 193.

[8]- القاضي عياض ، المصر السابق ، ج03، ص 382.

[9]- أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تح: عزت العطار الحسيني، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص 16.

[10]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 04.

بنفسه وملاطفته له فأبى وقال له: ما إبائتي إلا من إباءة ضعف وقوة، لا من وهن وطاعة[1]، وأيضا زياد بن عبد الرحمان الملقب بشبطون الذي أبى أن يتولى هذا المنصب بعد أن عرضه عليه هشام وخرج هاربا بنفسه[2].

وفريق آخر اشترك في منصب القضاء مثل الفقيه أسد بن الفرات (ت 213هـ/ 829م) الذي كان شريكا في القضاء مع أبي محرز الكناني وكان ما بينهما غير جميل[3].

ب. الشورى:

من بين الوظائف الأخرى التي لا تقل شأنا عن سابقتها وظيفة الشورى والتي يتم من خلالها الوصول إلى الحقيقة عن طريق مختلف الآراء وأفضلها في مختلف المسائل موضع الشورى ووردت بعض الإشارات في كتاب المدارك أن الأمير أو الخليفة له السلطة في اختيار المشاور و عزله بمعية جماعة المشاورين ولهم رئيس[4]، وفي بعض الأحيان يقدمه قاضي الجماعة بعد أخذ موافقة الأمير أو الخليفة[5]، أما عن مهامهم فلم تكن واضحة ومحددة، فالأمراء والخلفاء فنجدهم يستشيرونهم في بعض ما يهمهم في الأمور الخاصة أو العامة مثل الحقيق في ضياع الأموال الأيتام أو شراء بعض الأراضي الموقوفة كمشاورة الناصر للفقهاء من أجل شراء مجشر من أحباس المرضى بقرطبة[6] أو أخذ رأيهم في اختيار قاض أو عزله من جهة أخرى[7].

ج- الكتابة والتوثيق :

كذلك من بين الوظائف السامية التي شغلها الفقهاء مهنة الكتابة وكان من بين الذين احتلوا هذا المركز حبيب بن أبي حبيب الذي كان كاتب مالك [8]،وأبو عمرو أشهب كان كاتب خراج مصر[9] ، كذلك

---

[1]- نفسه ،ج 08، ص 134.133.

[2]- نفسه، ج 03، ص 118.

[3]-نفسه، ص 304.

[4]- علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للـــهجرة/الثاني عشر للميلاد، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الموصل، 1424هـــ/2003م، ص 47.

[5]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 06، ص 97.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص 87.

[7]- نفسه، ص 87.

[8]- نفسه ،ج03، ص167.

[9]- نفسه ،ج05 ،ص263.

محمد بن دينار الذي كان كاتب سعيد بن سليمان المساحقي [1]، وفي المقابل نجد من شغل مهنة التوثيق مثل محمد بن محمد الصدفي (ت318ه، 931م)كان بصيرا بالوثائق [2].

وكذا محمد بن عبيدون كان بصيرا بالوثائق متقدما في ذلك [3]، وتعرض لصمم شديد فكان لا يكاد يسمع ما قرئ عليه إلا ما قرأ هو، وعرض على اللؤلؤي وثيقة فأعجبته وقالوا له : ما تقول فيها؟ وثيقة جيدة صحيحة العقد[4]، وكذلك أبو عمر أحمد بن عفيف الذي برع في الوثائق والشروط[5]، أما عبد الله بن محمد بن يوسف ابن أبي العطاف الأحدب أبو محمد فقد كان عالما بالوثائق وعللها[6].

وغيرها من المناصب الأخرى مثل خطة الرّد والشرطة وتولي السوق كالحارث بن أبي سعيد (ت222ه/ 838م)، تولى الشرطة الصغرى ، وهو أول من تولاها بالأندلس [7]، وكذلك محمد بن خالد بن مرتنيل(ت220ه/ 836م) الذي ولي الشرطة والصلاة والسوق بقرطبة [8]، وكذا القاضي يونس بن الصفار (429ه/1038م) الذي تولى خطة الرد والشرطة والشورى والصلاة والخطبة بالمساجد الجامعة بقرطبة [9]وغيرها من الخطط الأخرى .

4- محنهم:

محن الفقهاء من بين المواضيع التي تناولها القاضي عياض في كتابه هذا، فقد تعرض بعضهم إن لم نقل جلّهم للمحن بسبب آرائهم أو معتقداتهم، أو مذاهبهم... وهو ما سيتم ذكره في الآتي:

أ- البهلول بن راشد السالف الذكر: امتحن على يد العكى أمير القيروان، وقيل له أنه يقع في سلطانك، فضعف عنده أمره، فأمر به ، فتحاشد الناس معه فزاده ذلك حنقا عليه وأخرج إليهم الأجناد ففضوهم فأمر بتجريده، وضربه بالسياط، ورمى عليه جماعة أنفسهم فضربوا وضرب هو نحو العشرين، وحبسه ، وكان

---

[1]- نفسه ، ص 28.
[2]- نفسه ، ج06، ص144.
[3]- نفسه ، ص139.
[4]- نفسه ،ص140.
[5]- نفسه ، ج08، ص08.
[6]- نفسه ،ج06، ص140.
[7]- نفسه ،ج04، ص 113.
[8]- نفسه ،ص117.
[9]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08، ص16.

عندما هم به وسيق لقيه قوم ملثمون، فشاوروه في القيام عليه وتخليصه فجعل يقول: لا،لا [1] ، وبرئ الضرب الذي ضرب إلا أثر سوط واحد تنغل فصار قرحة فكان سبب موته منها[2].

ب- أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت 240ه/ 855م): يجمع الكثير من العلماء بالأثر بأن سحنون كان قد حضر جنازة، فتقدم ابن أبي الجواد وكان قاضيا قبله وكان يقول بأن القرآن مخلوق، فصلى عليها، فرجع سحنون و لم يصل خلفه، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله فأمر بأن يوجه إلى عامل القيروان، بأن يضرب سحنون خمسمائة سوط ويحلق رأسه ولحيته.فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد فأمر البريد أن يتوقف، ودخل على الأمير وقال له لا تفعل فإنّ العكى إنّما هلك في ضربه للبهلول بن راشد، فشكره وتراجع عن أمره[3].

ج- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين (ت 214 ه/ 830م): امتحن في القرآن على يد الأصم، وضرب بالسياط في مسجد مصر، أقل من ثلاثين سوطا أيام المأمون وابن أبي داود على قضائه[4].

د- حسين بن مفرج: امتحن من المدنيين على ابن عبدون القاضي فضم هو وأبو عبد الله السدري سنة ثمان وثلاثمائة إلى المهدية فضربا، ثم قتلا ثم صلبا، لكلام حفظ عنهما في الشيعي[5].

ه- أبو بكر بن زهر: لما قام أبو العباس بن عباد في الفتنة باشبيلية واقتطعهما ملك لنفسه واحتاط لحاله فتكب كل من خشي على نفسه من كبرائها منه وكان الرجل حيث كان جلالة وعلما، فخاف على نفسه، وخرج فسكن طيطلة مدة فعندما أخذ الطيطليون عنه، وتفقهوا عليه، ثم تردد بالثغور الشرقية إلى أن مات، واقتطع بنو عباد عند مغيبه أمواله واستصفوها، وكانت واسعة[6].

---

[1]- نفسه ، ج03، ص99,

[2]- نفسه، ص 101.

[3]-نفسه ،ج04، ص 69، 70.

[4]- نفسه، ج03، ص 367.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05ص 131.

[6]- نفسه، ج08، ص 28.

و- أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان (ت 403ه/1113م)[1]: وتكمن محنته في اتهامه في الميل إلى البرابرة وأنّ الناس تبعا لما يشيرون به – بني ذكوان – من طرف واضح الصقلبي، بعد أن نصح أبو العباس لهشام في واضح، وبلغ هذا الأخير الأمر، فأمر هشام بإخراجهم من الأندلس ونفيهم إلى العدوة، فأخرج أبو العباس وإخوته سنة (401 ه/ 1009م) وقامت لنكبتهم بقرطبة القيامة[2].

[1]- محمد مخلوف، المرجع السابق، ص102.

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج07، ص 173، 174.

المبحث الثالث: دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية .

أولا: النشاط التعليمي .

1-التدريس.

2-المناظرات العلمية.

3-ج-الرحلات العلمية.

4-المؤلفات .

ثانيا : دور الفقهاء في الحياة العامة .

1-الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

2-محاربة البدع.

3-التكافل الاجتماعي (صدقات التطوع).

ثالثا : معاملة فقهاء المالكية لغير المسلمين.

1-اليهود .

2-النصارى

المبحث الثالث : دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية :

تمتع الفقهاء بنفوذ وسلطان واسع داخل الوسط الاجتماعي ، تبوأو بذلك مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي وشكلوا بذلك سلطة ضاهت السلطة الحاكمة في الكثير من الأحيان ، نظرا للدور الذي أفضوه في مختلف جوانب الحياة خاصة منها الحياة الاجتماعية ، ومن أبرز الميادين التي كان لفقهاء المالكية فيها دور بارز ما سيتم ذكره في الأتي :

1- النشاط التعليمي :

أ – التدريس : اهتم علماء وفقهاء المالكية بطلب العلم والنهل والاستزادة منه وتحصيله وبذلوا في ذلك شتي الوسائل والسبل ، ومثلما حرصوا على طلبه فإنهم لم يبخلوا بما نالوه من العلوم المختلفة ، واجتهدوا في نشره وتعليمه، وكان الغرض من التعليم أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الدين [1] .

وقد اتخذت المؤسسات العلمية كالمساجد والجامع والكتاتيب ...إلخ منابرا لنشر مختلف العلوم ، وفي هذا الصدد يقول عصمت دندش " ...ظل المسجد هو المكان المخصص للدراسة فإن لم يكن المسجد فبيت الأستاذ بنفسه ، وطالب العلم هو الذي ينفق على نفسه وربما ترك عمله الذي يتعيش منه من أجل طلب العلم " [2].

فقد جاء في ترجمة الفقيه أبي سعيد خلف بن عمر (ت371ه/ 982م) أنه كان يجتمع هو وأبو الأزهر بن معتب وأبو محمد بن أبي زيد وابن شبلون وابن التبان و القابسي وجماعة ، للتفقه في جامع القيروان [3] .

---

[1] – أحمد مختار العبادي وآخرون ، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دط ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1996 ه ،ص25 .

[2] – عصمت عبد اللطيف دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ،عصر الطوائف الثاني ،510ه – 546ه/ 1116 م – 1151م تاريخ سياسي وحضارة ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1408م/ 1988م ، ص370 .

[3] – القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص 211 .

كما يذكر عياض أن المكتب هو المكان الذي يسمع فيه الطلبة العلم ثم يدونون ما يسمعونه ففي ترجمة الفقيه محمد بن إدريس الشافعي (ت204ه/ 820م) يقول كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي فأحفظ ما يقول ، ولم يكن عند أمي ما تعطي المعلم ، وكنت يتيما وكان المعلم يرضى مني بأن أخلفه إذا قام وكانوا يكتبون ، وقبل أن يفرغ المعلم من الإملاء حفظت جميع ذلك [1] ، وكان أبو سعيد سحنون (ت240ه/855م) يجلس للسماع على باب داره والطلاب يجلسون على الأرض إلا من أتى بحصير [2] ، وهذا عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (ت197ه/ 814م) جاء الطلبة عنده للسماع ، واجتمع على بابه خلق كثير ، فقام ليفتح الباب ، فلما فتحه ازدحموا للدخول فسقط وشج وجهه فقال ما هذا إلا الخفة وقلة الوقار ونحو هذا والله لا أسمعتكم اليوم حرفا ، ثم ما إن رأى ما بهم من الهدو ، حتى قال : إنما أنا أكفر عن يميني وأسمعكم اليوم ، فكفر وأسمعهم [3] ، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على أنه كان يدرس ببيته واجتمع عليه خلق كثير دليل على كثرة طلبته .

ونخلص إلى ممارسة هؤلاء لعملية التدريس لنراهم في مجالسهم الحافلة ، ونرى أمثلة تستقطب طلاب العلم من مختلف الآفاق فاكتسبوا شهرة في التدريس عمت كل الأرجاء ، وسلكوا سبلا محمودة في التعليم والتعامل مع الطلاب رفعتهم إلى العلياء ، ومن بين الذين كان لهم دور مهم وبارز في نشر أصول علم الحديث محمد بن وضاح بن زيغ (ت286ه/ 900م)[4] ، وبقي بن مخلد بحيث قال الحميدي عن ابن وضاح : " حدث بالأندلس مدة طويلة ، وانتشر عنه بها علم جم " [5]، وقال عنه أحمد بن سعيد : لم يختلف علينا أحد من شيوخنا أن ابن وضاح كان

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص175 .
[2]- نفسه ، ج04 ، ص 54 .
[3]- نفسه ، ج03 ، ص238 ،239 .
[4]- نفسه ، ج04 ، ص435 .
[5]- الحميدي ، المصدر السابق ، ص141 .

معلم أهل الأندلس الزهد[1] وكان مشتغلا بنشر العلم والعبادة [2] وقال عياض عن بقي بن مخلد : "...وببقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث " [3] .

وهذا خالد بن احمد بن يزيد بن محمد بن سالم (ت322ه/ 934م) الذي سمع منه عالم كثير [4] دليل على أن مجلسه التعليمي اجتمع فيه الكثير من الطلبة ، وكان أبو المطرف عبد الرحمان بن فطيس (ت402ه/1011م)[5] عالي الطبقة وذا قدرة علمية نادرة ودرجة كبيرة من سعة الرواية والحفظ والدراية ، وكان يملي الحديث من حفظه في مسجده ومستمل بين يديه على ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق والناس يكتبون عنه [6] . أما أحمد بن محمد بن رزق الأموي (ت477ه/ 1086م) ممن رزق حسن التعليم ، فكان مدار طلبة الفقه بقرطبة عليه في المناظرة والمدارسة والتفقه عنده ، ونفع الله به كل من أخذ عنه وكان هدا الفقيه حريصا على التعليم [7] .

ويبدوا أن أهم ماكان يدرس للصبي هو حفظ القرآن ، وقد أشار القاضي عياض في مداركه إلى مجموعة من الفقهاء والعلماء الذين كان لهم حلقات للتعليم ، فمنهم أحمد بن يزيد القرشي يعرف بالمعلم وكان أول عمره يعلم القرآن [8] ، أما البهلول بن راشد فقد كان مشغولا في البداية بالعبادة فلما احتاج الناس إليه في العلم سمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم وسمع

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص437.

[2]- نفسه ، ص437 .

[3]- نفسه ، ص436.

[4]- نفسه ، ج05 ، ص177.

[5]- نفسه ،ج07 ، ص 181.

[6]- عبد الرحمن علي الحجي ، دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي ، ط1، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، أبوظبي ،1428ه/2007م ،ص20

[7]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج01 ن ص115.

[8]- القاضي عياض ،المصدر السابق ، ج04 ، ص407.

جامع سفيان الصغير من أبي الخطاب وأبي خارجة ، والجامع الكبير من علي بن زياد ودون الناس عنه جامعا ، وقام بفتياهم [1].

أما اللؤلؤي السالف الذكر فقد كان مدار طلاب العلم في زمانه [2] ، وكذا أبو الحبيب نصر الرومي التونسي مولاهم (ت332ه/ 944م) الذي جلس في حلق أهل العلم [3] .

ومن الذين كان لهم إسهام أيضا في بلورة التعليم أبو العباس المعرف بالإبياني (ت352ه/ 964م) قيل أنه كان يفصل المسائل كتفصيل الجزار الحاذق اللحم ، وكان يحب المذاكرة في العلو ويقول : دعونا من السماع ألقوا علينا المسائل وربما دخل عليه أصحابه وهو ملتاث- أي كان غير نشيط – فإذا أخذوا في المذاكرة زال إلتياثه وظهر نشاطه [4] ، وجلس أحمد بن الحارث بن مسكين القاضي (ت311ه/924م) مجلس أبيه بعده بجامع الفسطاط ن واخذ الناس عنه [5] ، وكان أحمد بن عبد الله بن ذكوان أبو العباس من شيوخ أهل العلم [6] ،وإذا جئنا للتحدث أبو المطرف عبد الرحمان بن سعيد بن جرج فقد كان ملازما للجامع يقرأ فيه على من يتحلق إليه من العامة [7] ، ومنع كل من إسحاق بن البرذون وأبو بكر بن هذيل من التحليق والفتيا ، فكان يأخذ منهم ويتذاكر معهم ،إنما يكون سرا وعلى حال خوف ورقبة بسبب بني عبيد [8] .

[1]- نفسه ،ج03 ، ص87.
[2]- القاضي عياض ،المصدر السابق ، ج06 ن ص111.
[3]- نفسه ، ص23.
[4]- نفسه ، ج06 ،ص12،11.
[5]- نفسه ، ج05 ، ص54.
[6]- الحميدي ، المصدر السابق ، ص 187.
[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08 ، ص19.
[8]- نفسه ، ج05 ، ص121.

وقد تحلى الفقهاء بصفات حسنة منها الاهتمام بطلبة العلم وخفض الجناح لهم والعمل على حسن تلقينهم العلم وكانت هذه الصفات من أهم ما يؤلف الطالب ويحبب إليه الاستمرار في طلب العلم .

فقد كان حاتم بن محمد بن عبد الرحمان بن حاتم التميمي الطرابلسي (ت496ه/ 1103م) مثابرا على حمل العلم وبثه والقعود لإسماعه والصبر على ذلك مع كبرة السن ، وانهداد القوة ، أخذ عنه الكبار والصغار لطول سنه [1] ، أما أبو عيسى يحي بن عبد الله (ت367ه/ 978م) كان يطعم الطلبة إذا تم مجلس مناظرته من ثمار بستانه ، وينشطهم للأكل ...[2] ، وكان الفقيه الطليطلي أبي عمر أحمد بن سعيد الأنصاري ، ودلك من خلال نقل وصف أحد تلاميذه لمجلس شيخه ، حيث قال : كنت أتي إليه من قلعة رباح وغيري من المشرق وكنا نيفا على أربعين تلميذا ، فكنا ندخل في داره في شهر نونبر ودجنبر وينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات ن والحيطان باللبود من كل حول ، ووسائد الصوف وفي وسطه كانون في طول قامة الإنسان مملوءا فحما ، يأخذ دفئه كل من في المجلس، فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعا ،وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب ، وأيام ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ... فكان ذلك كرما وجودا وفخرا لم يسبقه أحد من فقهاء طليطلة إلى تلك المكرمة [3] ، فكان بذلك مثالا في التضحية مع طلبته بكل ما لديه من علم ووقت ومال .

ومن هنا نستنتج عدة أمور منها أن السلوك الفريد والصفات الخلقية للعديد من الفقهاء ساهمت بشكل كبير في تحبيب العلم إلى طالبيه وهو أسلوب تربوي من شأنه أن يقوي ويشد العلاقة بين الشيخ والتلميذ ويحبب إليه مجلس العلم والعلماء .

---

[1]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، 254.

[2]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص109.

[3]- خليل إبراهيم الكبيسي ، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة ، ط1 ، 1425ه/ 2004م ، بيروت ، ص233.

أما عن عدد الطلبة في الحلقة أو المجالس العلمية فيشير القاضي عياض أن عددهم قد يصل في بعض الأحيان إلى ثلاثمائة طالب ، ففي ترجمة عبد الملك بن حبيب (ت238ه/ 853م) ذكر عياض أنه كان يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلاثمائة بين طالب حديث وفرائض وفقه وإعراب [1] . ويذكر في ترجمته لأبو عيسى يحي بن عبد الله (ت367ه/978م) بأن الطلبة كانوا يسمعون منه الموطأ في أزيد من خمسمائة تلميذ [2] ، ويروي أبو القاسم حاتم بن محمد قائلا : كنا عند القابسي في نحو من ثمانين رجلا من طلبة العلم من أهل القيروان والأندلس ن وغيرهم من المغاربة ، في علية له ن فصعد إلينا الشيخ وقد شق عليه الصعود فقام قائما وتنفس الصعداء ن وقال : والله و الله لقد قطعتم أبهري [3] .

وعلى الرغم من ذلك نجد أن كتاب ترتيب المدارك وغيره من المصادر لا تعط تحديدا دقيقا لعدد الطلبة في كل مجلس فقد كان الرقم يختلف حسب سمعة الأستاذ والمادة التي يدرسها و المكان الذي توجد به الحلقة .

ومدارس العلم عند فقهاء المذهب المالكي خصلة حميدة مأثورة من سلوك مالك نفسه ، فيذكر لنا حسين مؤنس بعض صفات ن مجلس مالك فيقول : كان يطلب إلى تلاميذه الصمت التام أثناء إلقاء الدرس ، فإذا شاء الطالب أن يسأل شيئا فيكون ذلك في آخر الدرس ، ونظم دروسه وفقا خطة وضعها بنفسه واتخذ في داره مجلسا للتدريس وأقام لتلاميذه عريفا ومقرئا ، مكلفين بتنظيم الدروس ومراجعتها مع الطلاب أثناء الدرس [4] .

وكان إذا آنس من تلميذ استعداد حسنا خصه بدرس له وحده كما فعل مع المغربي القيرواني البهلول بن راشد [5]، الأمر نفسه فعله سحنون مع أسد بن الفرات ، بحيث كان سحنون إذا

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ن ص124.

[2]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص108.

[3]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ص255.

[4]- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص85.

[5]- نفسه ،ص85.

أصبح خرج آذنه فأدخل أهل المدينة ، ثم أهل مصر ، ثم عامة الناس ، وكان أسد بن الفرات يدخل معهم فلما رأى سحنون رغبته في العلم قال لآذنه أدخل القروي مع المصريين [1] .

وكان مالك عند إلقاء درسه فياضا مسترسلا يتنقل من نقطة إلى نقطة بنظام وهدوء وكل هذا فتن تلاميذه به وجعلهم يدرسون شخصه وأسلوبه في الحياة والعمل وكانوا يدرسون علمه [2] .

وقد حرص فقهاء المالكية على نسخ الكتب ، وجلبها أثناء رحلاتهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية ثم عرضها واستظهارها بعد عودتهم إلى موطنهم ، كما اشتهر بعضهم بالتأليف وجمع الكتب وقراءتها على الطلبة من أبرزهم في هذا المجال عبد الله بن مسرور التجيبي [3]، قيل أنه ترك سبع قناطير كتبا بخطه [4] وأيضا أبو بكر اللباد [5].

والكتب التي كانت لها صدارة في التدريس على حسب قول عمر الجيدي في كتابه هو كتاب المدونة التي ظلت تشغل الحيز الأكبر في دراسات الفقه في الغرب الإسلامي، وتحتل الصدارة في حلقات التدريس مدة من الزمن [6]، قبل أن تظهر الكتب الأخرى .

وربما كانت دراسة الفقه المالكي والعلوم الشرعية مطية لبلوغ المناصب والإثراء السريع .

2- المناظرات العلمية :

تحدث القاضي عياض في هذا الكتاب عن العديد من المنظرات العلمية و التي خاض غمارها الكثير من الفقهاء و تعد هذه الآخيرة ناحية من النواحي العلمية الهامة و التي تدل على مدى النضج العلمي و التبحر في شتى العلوم.

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03،ص292.

[2]- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص85.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05 ، ص330.

[4]- نفسه ، ص331.

[5]- نفسه ، ص286.

[6]- عمر الجيدي ، المرجع السابق ، ص97.

و الظاهر أن المناظرة عبارة عن مسالة من مسائل العلم المتعلقة بالفقه و الحديثو مختلف العلوم، بحيث يطرح فيها العالم أسئلة حول موضوع ما للوصول إلى أصح الآراء العلمية، و من بينها المناظرة التي جرت بين المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي(ت 188ه/ 805م) مع أبي يوسف حول مسألة الرهن، فقويت حجته على أبي يوسففتناظرا إلى المغرب حتى خرجوا، و في هذا الشأن قيل للواقدي، ماذا لقي صديقك أبي يوسف من المغيرة ؟ لقد حيره حتى جعلت أتمنى أن يؤذن المؤذن بالمغرب فيفترق المجلس لما لقي أبو يوسف منه [1]و هذا دليل على قوة و حجة المغيرة في المناظرات.

و نوه عياض أيضا إلى المناظرة التي خاضها محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 ه/ 820م) بحيث ناظر لما ذهب إلى العراق محمد بن الحسن على مذهب أهل المدينة.[2] و كانت حجته قوية في المناظرة دليل ذلك ما قاله هارون ، بحيث قال ما رأيت مثله، لو ناظر على أن هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لأثبت ذلك لقدرته على المناظرة [3]و الأمثلة على المناظرات، كثيرة و متعددة نذكر منها تلك التي جرت بين عبد الرحيم بن خالد بن يزيد

و ابن أبي حازم [4]و كان مالك يحضر عثمان بن عيسى بن كنانة لمناظرة أبي يوسف عند الرشيد [5] منهم من دخل في مناظرة مع أباه أمثال محمد بن سحنون (ت 256 ه/ 871م)[6] و قال سحنون عن مناظرات أبو عمروا أشهب (ت 204ه /820م) ما كان أحد يناظر أشهب إلى اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله[7].

و هذا أبو عثمان بن الحداد (ت 330 ه/ 342م) كانت له مناظرة ناظر فيها أبا العباس المخطوم أحا الشيعي الصنعاني داعية بني عبيد الروافض عند دخولهم إفريقية.[8]و يذكر أن أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي ناظر زفر بن الهذيل في مجلس أبي حنيفة.[9]و محمد بن عمر بن لبابة (ت 314 ه/ 927م) الذي

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص05 .
[2]- نفسه ، ص 179.
[3]- نفسه ، ص183 .
[4]- نفسه ، ص 54 .
[5]- نفسه ، ص 21.
[6]- نفسه ، ج04 ، ص205 .
[7]- نفسه ، ج03، ص264 .
[8]- نفسه ، ج05 ، ص82.
[9]- نفسه ، ج03، ص106.

ناظر يوما أصحابه في حجر الأب علي ابنه و أنه في ولاية أبيه و إن بلغ، حتى يطلقه على ما ذهب ابن القاسم و التزم ذلك و ناظر عليه[1].

و أيضا أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف القاضي (ت 328ه/ 941م) [2]ناظر أبا بكر الصيرفي فقيه أصحاب الشافعي و له كتاب في الرد على من أنكر إجماع أهل المدينة[3].

و ربما كانت المناظرات في بعض الأحيان سببا في تعرض أحد الطرفين إلى الهلاك فيذكر القاضي عياض عن المناظرة التي حدثت بين فتيان بن أبي السمح (ت 232 ه/ 847م) و الشافعي ، بحيث خاطب فتيان الشافعي بخطاب أغلظ فيه و لما بلغ الأمر السرى بن الحكم أمير مصر بعث يسأله في الأمر فيقال أن الشافعي أخبره،انتهى الأمر بضرب فتيان بالسوط من قبل السرى[4].

كما ذكر في ترجمة محمد بن سحنون أن رجلا من أصحاب محمد دخل بمصر حماما عليه رجلا يهوديا، فتناظر معه الرجل فغلبه اليهودي لقلة معرفة الرجل، فلما حج ابن سحنون صحبه الرجل، فلما دخل مصر قال له : إمضى بنا إلى الحمام الذي عليه اليهودي ، فنشبت مناظرة بين ابن سحنون و اليهودي حتى حانت صلاة الظهر، ثم رجع معه إلى المناظرة حتى كانت صلاة العصر ، ثم العشاء ، ثم إلى العشاء الآخرة ، ثم إلى الفجر ، و قد اجتمع الناس و شاع الخبر بمصر " الفقيه المغربي يناظر اليهودي" فلما كانت صلاة الفجر انقطع اليهودي و تبين له الحق و أسلم، فكبر الناس فخرج محمد و هو يسمح العرق عن و جهه و قال لصاحبه : لا جزاك الله خيرا، كاد أن يجري على يديك فتنة عظيمة تناظر يهودي و أنت ضعيف[5].

و مما سبق يتضح لنا أنه لا بد أن يكون المناظر ذا علم و دين لكي تقوى حجته، لأنه ليس باستطاعة كل إنسان أن يناظر خاصة مع غير المسلمين.

الرحلات العلمية :

[1]- نفسه ،ج05 ،ص 156.
[2]-القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج05 ، ص256.
[3]- الشيرازي ، المصدر السابق ، 166.
[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 279.
[5]- نفسه ، ج04، ص215.

شكلت الرحلات العلمية أحد أهم الدعائم في و حدة الفكر العربي منذ عصور الإسلام الأولى، حيث كان حج بيت الله، و طلب العلم من أهم دوافع هذه الرحلة، و الدارس لكتاب يلاحظ أن هذه الرحلات ساهمت بشكل كبير في ازدهار و تطور الحركة العلمية، نتيجة التمازج الحاصل بين المغرب و المشرق في سبيل تحصيل العلوم و المعارف، و لقاء كبار العلماء المسلمين في المشرق و الأخذ عنهم و نقل كتبهم و مصنفاتهم إلى المغرب.

و إذا كانت الرحلة لها أهدافها السامية الكبرى في الإسلام فإن طلب العلم كان في مقدمة هذه الأهداف بحيث غدا من المألوف أن يشد طالب العلم الرحال إلى بلد بعيد ليحظى بشرف الأخذ على يد شيخ أو أستاذ سمع عنه و رغب في التتلمذ على يديه[1]فمنهم من أقام ردحا من الزمن فدرس العلم للمشارقة و أخذ عن العلماء و رحل[2].

و من الذين ذكرهم القاضي عياض في مداركه و كانت لهم رحلة إلى المشرق لتتلمذ على علمائه ثم العودة إلى بلادهم الأصل لنشر العلم، الفقيه زياد بن عبد الرحمان الملقب بشبطون [3]رحل إلى المشرق و ينسب إليه أنه كان أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس بعد تتلمذه عليه[4] و كان أبو عبد الله بن فروخ الفارسي (ت 175 ه/ 792م) من أهل الأندلس و انتقل إلى إفريقية بحيث سكن بالقيراون، ثم رحل إلى المشرق فلقي جماعة من المحدثين و العلماء كزكرياء بن أبي زائدة [5] و هشام بن حسان... و غيرهم فسمع منهم و تفقه بهم [6]و كذا أبو موسى عيسى بن مسكين الذي سمع من علماء القيروان كسحنون بن سعيد ثم رحل فلقي بمصر يونس بن عبد الأعلى، و رحل إلى الصعيد إلى محمد سنجر[7] .

[1]- أحمد مختار العبادي وآخرون ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دط ،دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1996م،ص 24، 25.

[2]- عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، ط01، دار الشرق ، بيروت ، 1403ه/ 1983م ، ص 42.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 116 .

[4]- حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138ه ،422ه / 755م ، 1030م) ، ط01، مطبعة الحسين الإسلامية ، الإسكندرية ، 1414ه /1994م، ص383,

[5]- المالكي ، المصدر السابق ، ج01، ص 177.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص102.

[7]- الخشني ، المصدر السابق ،ص193.

و رحل أسد بن الفرات إلى المشرق فسمع من مالك بن أنس موطأه و غيره، ثم ذهب إلى العراق فلقي أبا يوسف و غيره من الفقهاء[1]و كانت للفقيه محمد بن خالد بن مرتنيل [2] هذا رحلة في طلب العلم لقي فيها ابن القاسم و أشهب و ابن نافع، و ابن وهب،و قد أثبت سماعه محمد بن أحمد العتبي في مستخرجته[3].

و محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري (ت 221ه/ 837م) [4]رحل إلى المشرق و سمع من عدد من العلماء في المدينة المنورة و العراق[5].

و رحل أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي أبو عمر الفقيه يعرف بابن الباجي متأخر للحج و كتب بمصر على ابن المهندس ، و عن الميمون بن حمزة بن الحسين الحسيني... وغيرهم و كتب عنه [6] و يذكر أيضا أن أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي السوسي (ت 313ه/ 926م)،أنه كانت له رحلة سمع فيها ابني عبدوس و غيرهما من أصحاب سحنون، و بمصر سمع من ابن عبد الحكم و الربيع الجيزي، و إبراهيم بن مرزوق و غيرهم، و أدخل إفريقية كتبا غربية من كتب المالكيين ككتاب المغيرة إبن عبد الرحمان و كتاب ابن كنانة و كتاب ابن دينار فكان يغرب بمسائلها[7] أما مالك بن عيسى بن نصر القفصي فقد رحل في طلب الحديث و طاف بلاد المشرق ، و يقال أقام بها عشرين سنة [8].

و هذا أحمد بن الوليد بن عبد الخالق الباهلي [9] كان قد ارتحل إلى المشرق فروى عن سحنون بن سعيد، و روى بالأندلس عن عيسى بن دينار الغافقي، و يحي بن يحي الليثي و عن نظرائهم من شيوخ الأندلس رحمهم الله[10]

و كذا قاسم بن أصبغ (ت 340ه/ 952م) رحل إلى المشرق مع ابن أيمن فأدرك الناس متوافرين و سمع بمكة

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 291.

[2]- نفسه ، ج04 ، ص239 .

[3]- محمد بن الحارث الخشني ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، تح :ماريا لويسا آبيلا ولويس موليا ، دط ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1992م، ص111.

[4]- الحميدي ، المصدر السابق ، ص 114.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04 ، ص114.

[6]- الحميدي ، المصدر السابق ،ص186، 187.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج05،111.

[8]- نفسه ، ص124.

[9]- ابن فرحون ، المصدر السابق ،ج01 ، ص147.

[10]- الخشني ، المصدر السابق ، ص11.

و بغداد و العراق و بمصر و بالقيروان من جلة الشيوخ [1].

و كان عدد ممن ارتحل لا يكاد يحصى كثرة، و من الإشارات المفيدة في هذا مما يدل على كثرتهم ما جاء عرضا على لسان أبو القاسم حاتم بن محمد حيث قال : " كان عند القابسي نحو ثمانين رجلا من طلبة العلم من أهل القيروان و الأندلس و غيرهم من المغاربة...." [2].

و كان الطلبة أحيانا ينطلقون جماعات جماعات كالمتخرجين على شيوخ المغرب المجازين منهم، فيقصدوا المشرق فكانت رحلة كل من عبد الله بن غانم و ابن فروخ التونسي والبهلول بن راشد القيرواني رحلة واحدة [3].

و كانت رحلة محمد بن رشيد مع رحلة سحنون إلى الحجاز و إلى ابن القاسم بمصر رحله واحدة، و كان سماعهما واحدا، و فاته سحنون برجال الشام لأنه رحل إليها دونهم [4].

و الظاهر أن الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة تميزت بحرية تنقل العلماء و طلبة العلم بين مشارق الأرض و مغاربها، و يبدوا أن طلبة المغاربة كانوا إذا قرروا الرحلة في سبيل العلم يضحون بالغالي و النفيس من أجل جمع العلم،هذا إذا كانوا من ذوي اليسار.

أما غير هؤلاء فكانوا يقتحمون الميدان، يكدون و يصبرون على أهوال السفر و وحشة الغربة، و يصل بهم الأمر إلى استئجار أنفسهم للخدمة [5] و قديما تحسر سحنون على ضيق ذات يده فقال: لحى الله الفقر. فلولاه لأدركت مالكا [6]. و رحل هذا الأخير في طلب العلم إلى مصر و تونس و الحجاز[7]و أخذ من ابن وهب مغازيه إجازة [8].

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05 ، ص181.

[2]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ص 255.

[3]- محمد بن حسن شرحبيلي ، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي ، دط ، مطبعة الفضالة ، المحمدية (المغرب) ، 1421ه /2000، ص195.

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04 ، ص96.

[5]- محمد بن حسن شراحبيلي ، المرجع السابق ، ص196.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04، ص46.

[7]- نفسه ، ص46، 47 .

[8]- نفسه ، ص 50.

و من الذين ذكرهم القاضي عياض و كانت لهم رحلة أيضا إلى المشرق سعيد بن حسان الصائغ (ت 236ه/851م) رحل إلى المشرق سنة سبع و تسعين و مائة، فروى عن عبد الله بن نافع الزبيري، و عبد الله بن عبد الحكم و غير ذلك من الفقهاء و العلماء،و انصرف إلى الأندلس سنة أربع و مائتين [1] .

و كذلك أحمد بن محمد بن عجلان و أخوه يحي [2] كانت له و لأخيه رحلة سمعا فيها من سحنون عن سعيد [3] و كذلك أحمد بن عبادة بن علكدة (ت 282ه/ 826م)[4]رحل سنة 211ه/ 827م فجالس أهل العلم و الحركة من أهل القيروان، و لقي بمكة أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري و سمع منه و أدخل الأندلس كتابه الأوسط في اختلاف الناس و هو أول من ادخله و لقي بمصر أيضا جماعة كتب عنهم [5].

و رحل أبو عبيد الجبيري إلى مصر فسمع من جماعة، و بجدة من الحسين ابن حميد الجرمي ، و بالعراق من أبي بكر الأبهري و أقام في رحلته ثلاثة عشر عاما وانصرف الى الأندلس [6] أما عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم (ت 403ه/ 1013م) [7] فقد رحل الى الشام و العراق و سمع أبا القاسم و غيره من الكبار [8].

و كان لمحمد بن إبراهيم بن أبي صبيح (ت 334ه/ 946م) رحلة قديمة سمع فيها من يونس الصدفي

و محمد بن عبد الحكم و أصحاب سحنون[9] و عزم أبو علي الحسن بن نصر السويسي على الرحلة إلى محمد بن عبد الحكم فبلغته و فاته، فقال: ما اغتممت لشيء مثل غمي لذلك [1] و رحل الناس الى أبو الحسن الكناشي

---

[1]- نفسه ، ص111.

[2]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04، ص465.

[3]- الخشني ،المصدر السابق ، ص12.

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04 ، ص453.

[5]- الخشني ، المصدر السابق ، ص25.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج07، ص05.

[7]- نفسه ، ص24.

[8]- ابن فرحون ، المصدر السابق ، ج01، 452.

[9]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص 26.

(ت 347ه/ 986م) من كل الآفاق[2].

و كان للفقيه أبو الوليد الباجي (ت 474ه/1082م) عدة رحلات إلى الحجاز و بغداد و الشام

و الموصل و كان يتردد بشرق الأندلس ما بين سرقسطة و بلنسية و مرسية و دانية[3] ، و أيضا محمد بن عبد الله بن غالب بن تمام الهمداني، رحل الى الأندلس و رحل في نحو الثمانين فدخل القيروان، و قيل أنه دخل العراق و كان متفننا في علوم جمة[4].

و من فوائد الرحلة أيضا التمكن من الجوانب العلمية لتلك البيئة التي رحل إليها و نشر العلم الذي حصله العالم و اتساع الثقافة العامة، و تنمية الفضائل و الكمالات في النفس و كسب صدقات جديدة خالصة[5].

و في المقابل نجد أن هنالك من الفقهاء من لم تشهد له رحلة خارج بلده أمثال محمد بن عمر بن لبابة

(ت 314ه/ 927م)[6] لم تكن له رحلة [7] و كذلك محمد أبو بكر بن اللباد (ت 333ه/945م) الذي لم تكن له رحلة و لا حج[8]و أيضا محمد بن أحمد اللؤلؤي (ت 350ه/962م) الذي كان من أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك و لم تكن له رحلة [9]و أيضا من الذين ذكرهم عياض و لم تكن لهم رحلة أبو عمر عبد البر (ت 463ه/ 1071م)[10]، و كذلك أبو عبد الله بن عتاب بن محسن (ت 462ه/ 1072م) لم تكن له رحلة عن بلده[11]و كذا محمد بن يبقى بن محمد ابن زرب (ت 381ه/ 992م) لم يكن له رحلة و لا رواية [12].

---

[1]- نفسه ، ص34.

[2]- ابن فرحون ، المصدر السابق ، ص327.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08،ص117 ،118 .

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08، ص189.

[5]- الحافظ ابن عبد البر ، صحيح جامع بيان العلم وفضله ، تح: أبو الأشبال الزهيري ، دط ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ص 99.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05 ، ص153.

[7]- الخشني ، المصدر السابق ، ص145.

[8]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج05، ص287.

[9]- القاضي عياض ،ج06، ص111.

[10]- نفسه ،ج08 ، ص128.

[11]- نفسه ، ص131.

[12]- نفسه ، ج07 ،ص114.

و مما سبق يتضح لنا أن هؤلاء العلماء لم يرتحلوا إلى المشرق، بل اكتفوا بأخذ علومهم و معارفهم عن علماء وطنهم.

و ما نستنتجه من خلال دراستنا لهذا الكتاب أن جل الفقهاء كانت لهم الرغبة الكبيرة في طلب العلم فارتحالهم لتحصيله بين مشارق الأرض و مغاربها كان فيه مشقة، إما تنقلا على البهائم أو عن طريق الارتجال و ربما كانوا ينتقلون من اجل الحديث الواحد،الآلاف من الكيلو مترات، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على حرصهم الشديد لطلب العلم ، و المكانة الكبيرة لهذا الأخير في نفوسهم.

التأليف :

ألقى ترتيب المدارك الأضواء على الناحية الثقافية و التي تعكس مدى التقدم العلمي في مختلف العلوم، و ظهر ذلك جليا في ذكر كثرة الكتب و المؤلفات في هذا الكتاب و التي صدرت عن مجموعة من الفقهاء الذين ترجم لهم القاضي عياض.

ومن بين الفقهاء الذين كان لهم الأثر في هذا المجال الفقيه عبد الله بن عبد الحكم بن أعين (ت 214ه/ 830م) فمن تواليفه المختصر الكبير و المختصر الأوسط و المختصر الصغير، و له أيضا كتاب الأهوال،و كتاب فضائل عمر بن عبد العزيز، و المناسك[1].

أما عبد الرحمان بن أبي جعفر الدمياطي (ت 226ه/ 842م) كانت له كتب تعرف باسمه تسمى بالدمياطية [2].

و كان للفقيه محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير كتاب فضائل مالك، و كتاب مجالس مالك[3]، و من ضمنهم أيضا الأصبغ بن الفرج (ت 225ه/ 843م) له مؤلفات وصفها القاضي عياض بقوله " و له تواليف

[1]–القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ،ص 365،366.
[2]– نفسه ،ص375.
[3]– نفسه ، ج04، ص225.

حسان " من بينها كتاب الأصول له في عشرة أجزاء، و تفسير غريب الموطأ ، و كتاب آداب الصائم و كتاب سماعه من ابن القاسم اثنان و عشرون كتابا، و كتاب المزارعة ... و غيرها من الكتب[1].

القول نفسه للقاضي عياض عن مؤلفات أبو زكرياء يحي بن مزين (ت 295ه/ 909م) و من بين هذه المؤلفات كتاب تفسير الموطأ،و كتاب تسمية رجال الموطأ و هو كتاب المستقصية، و أيضا كتاب فضائل العلم و كتاب فضائل القرآن [2] و كان لعيسى بن دينار كتاب البيوع على قول القاضي عياض[3] و أيضا كتاب في الفقه يسمى الهدية[4] و قام أسد بن الفرات (ت 213ه/829م) بتدوين المدونة و دون عن ابن القاسم نحو ستين كتابا و هي كتاب الأسدية[5].

و هنالك من كان كثير الكتب عزيز التأليف أمثال محمد بن سحنون (ت 256ه/ 871م) فقد قال فيه المالكي صاحب كتاب رياض النفوس لم يكن في عصره احد أجمع لفنون العلم منه، و ألف في جميع ذلك كتبا كثيرة تنتهي إلى نحو مائتي كتاب في جميع العلوم و في المغازي و التواريخ[6]و له كتاب الرجوع في الشهادة [7] ،و كتاب العتبية أو المستخرجة نسبة إلى الفقيه العتبي (ت 255ه/ 870م)[8]و يسمى المستخرجة لأنه استخرجها من الأسمعة التي رويت عن الإمام مالك بواسطة تلاميذ هو تلاميذهم، و قد أكثر فيها من الروايات الشاذة على قول ابن لبابة مما جعل العلماء يقفون منها مواقف متباينة إذ ذمها قوم ، ومدحها آخرون[9] .

و كان لأحمد بن إبراهيم بن رزقون مختصر في الفقه سماه " النهج السالك في تقريب مذهب مالك[10]"و كان للزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب (ت 256ه/ 871م) كتاب في جمهرة أنساب قريش[11]كذلك أبو

---

[1]- نفسه ، ص20.

[2]- نفسه ، ص239

[3]- نفسه ، ص106 .

[4]-القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص109.

[5]- نفسه ، ج03، ص197.

[6]- المالكي ، المصدر السابق ، ج01، ص443.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04 ، ص206.

[8]- نفسه ،ج04 ، ص252.

[9]- عمر الجيدي ، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، ط1, 1993، ص70.

[10]- ابن فرحون ن المصدر السابق ، ج01 ،ص199.

[11]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص354.

مصعب أحمد بن أبي بكر له مختصر في قول مالك مشهور[1]و كان لمحمد بن يبقي بن زرب[2] كتاب في الفقه سماه الخصال[3].

أما الفقيه ابن محمد عبد الله بن أبي زيد(ت 386ه/ 997م) فقد كان له كتاب النوادر و الزيادات على المدونة مشهور، أزيد من مائة جزء،و كتاب مختصر المدونة مشهور وعلى كتابه هذين المعول في المغرب في التفقه وكتاب تهذيب العتبية.... و وصف القاضي عياض بأن توالفيه كلها بديعة و غزيرة العلم [4].

و كان كذلك لأبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (ت 403ه/1012م) تواليف بديعة و مفيدة ككتاب الممهد في الفقه، و أحكام الديانة،و كتاب المنقذ من شبه التأويل و كتاب رتب العلم، و أحوال أهله، و أيضا كتاب حسن الظن بالله...[5].

و من التأليف أيضا كتاب الدليل إلى معرفة الجليل، نحو مائة جزء،و كتاب تفسير القرآن نحو هذا،و كتاب البيان في إعراب القرآن، و أيضا كتاب فضائل مالك، و رجال الموطأ و كتاب الرد على ابن مسرة... و غير ذلك من التواليف لأبو عمر الطلمنكي(ت 429ه/1038م)[6].

ووصف القاضي عياض مؤلفات يونس بن الصفار (ت 429 ه/ 1038م) بأنها تواليف مليحة و مفيدة، منها كتاب الموعب في تفسير الموطأ، و كتاب التسبيب و التقريب، و كتاب الابتهاج بمحبة الله، وأيضا كتاب آخر بعنوان طب القلوب...[7].

إلى جانب عبد الله بن ابي هاشم بن مسرور التجيبي (ت 346ه/ 985م) الذي ألف كتبا كثيرة في أنواع العلوم، منها كتاب المواقيت و معرفة النجوم و الأزمان[8]و أما بالنسبة لأبو الحسن الأشعري المتكلم (ت 334ه/ 946م) فله تواليف مشهورة كثيرا من بينها، كتاب الموجز و كتاب التوحيد و القدر و كتاب

---

[1]- نفسه ، ص347.

[2]- نفسه ، ج07، ص 114.

[3]- الحميدي ، المصدر السابق ، ص149.

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص217 ،218.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج07 ،ص96.

[6]- نفسه ،ج08 ،ص33.

[7]- نفسه ، ص18 ،19 .

[8]- نفسه ، ج05 ، ص333.

الأصول،كذلك كتاب إيضاح البرهان و كتاب الإبانة في أصول الديانة و غيرها من الكتب[1] وقد قال عياض على تواليفه : و من وقف على تواليفه رأى أن الله أمده بتوفيقه[2] و ألف أحمد بن محمد بن خالد بن ميسر (ت 309ه/ 922م) كتاب الإقرار و الإنكار[3] و هذا أبو الوليد الباجي (ت 474ه/ 1082م)[4] له تأليف مشهورة منها كتاب المنتقي في شرح الموطأ و أيضا كتاب الإستيفاء في شرح الموطأ، أيضا كتاب السراج في علم الحجاج،و كتاب التهذيب في اختصار المدونة و له غير ذلك[5].

و ألف أيضا أبو عمر بن عبد البر(ت 463ه/ 1071م) كتاب التمهيد كما في الموطأ من المعاني

و الأسانيد و هو عشرون مجلدا، و كتاب الإستذكار لمذاهب علماء الأمصار،و كتاب البيان على تلاوة القرآن[6].

و منهم من يبعث كتبه بعد موته أمثال أحمد بن علي بن حميد التميمي أبو الفضل (ت 251ه/ 866م) كان كثير الكتب صحيحها، يبعث هاته الأخيرة بعد موته بألف دينار و مائتين[7].

و مما سبق يمكن القول أن جل الفقهاء كانت لهم مؤلفات و ما ذكرناه إلا القليل بالنظر إلى ما احتواه هذا الكتاب، و من بين الأسباب التي ربما دعت الفقهاء إلى التأليف هي الدفاع عن المذهب و النقد و التقويم بالنسبة لبقية المذاهب.

المطلب الثاني:دور الفقهاء في الحياة العامة :

1- الأمر بالمعروف و النهي عن المذكر:

قال تعالى: " **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**" [1] وقوله أيضا: "**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ**

[1]- نفسه ،ص27.
[2]- نفسه ،ص27.
[3]- نفسه ،ص52.
[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08 ، ص117.
[5]- ابن فرحون ، المصدر السابق ، ج01، ص 384،385.
[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج08 ، ص 129.
[7]- نفسه ، ج04 ، ص 408 .

بِاللَّهِ"[2]فسبحانه و تعالى بين في رسالته هذه أمر على لسان نبيه الكريم بكل معروف و نهى عن كل منكرٍ، و أحل كل طيب و حرم كل خبيث[3].

كما خصصت الدولة الأندلسية في تنفيذ مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر باسم الحسبة و على من يقوم بها المحتسب[4].

و الفقهاء و العلماء باعتبارهم ورثة الأنبياء، فكانوا السباقين لهذا الأمر،فأسد بن الفرات عند خروجه للطرق ذهب ليودع مالك فقاله: أوصيك بتقوى الله العظيم، و القرآن و مناصحة هذه الأمة خيرا[5] و قال: ما و دعت ابن القاسم قط إلا و قال لي: أوصك بتقوى الله و القرآن و نشر هذا العلم[6]و يتضح من خلال هذا بأن حتى الفقهاء فيما بينهم كانوا يتناصحون بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

أما أحمد بن المعذل كان يوصي أبناءه بالصلاة[7]و يتلو:"**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ**"[8]و كذلك سحنون (ت 240ه/ 855م) كان شديد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و كان يوصي ابنه فيقول له: يا بني سلم على الناس فإن ذلك يزرع المودة، و سلم على عدوك و ذره فإن رأس الإيمان بالله المداراة بالناس[9]

و نصيحة الفقهاء بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لم تقتصر على الناس فقط، بل حتى أبنائهم كانوا يستعدون عليهم بالتزام هذا المبدأ.

و كذلك عمل بهذا المبدأ أبو الفضل يوسف بن مسرور كان كثير الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم [10]. و مثل ذلك كان داود بن هذيل (ت 315ه/928م) بعد انتقاله إلى قرطبة، كان

---

[1]- سورة آل عمران ، الآية 93.

[2]- سورة آل عمران ،الآية 101.

[3]- أحمد عبد الحليم ابن تيمية ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تح : صلاح الدين المنجد ، ط01، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1396ه / 1976م ،ص10.

[4]- رسالة ابن عبدون ، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، تح : ليفي بروفنسال ، دط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية القاهرة ، 1955م ،مج :02، ص22.

[5]- نفسه ، ص293 .

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ،ص293.

[7]- نفسه، ج04، ص09.

[8]- سورة طه ، الآية 132.

[9]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 85.

[10]- نفسه ، ج 05 ،ص 143.

يلتزم بها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[1]و محمد بن خالد القيسي (ت 317/ 930م) كان شديدا في تغيير المنكر، لم يل أسواق القيروان قبله أضبط منه[2].

أما علي بن عيسى بن عبيد التجيبي كان زاهدا ورعا مُجاب الدعوة يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، حتى استثقله أهل طلبطلة فانحاز عنهم إلى قرية كان بها جنة يحفرها و يعتملها بيده، و يقوم منها حاله[3].

و عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان التزم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و كان يتولى ذلك بنفسه،ولا تأخذه في الله لومة لائم و ألف في هذا المعنى ديوانا و هو كتاب: الأمر و النهي[4].

و نفس الأمر اتخذه الفقهاء مع أهل السلطة و الحكام، فعندما اجتمع العلماء عند المتوكل بعد أن وجه إليهم و كان فيهم أحمد بن المغذل، فلما خرج عليهم قام له الناس كافة غير أحمد فقال المتوكل لعبيد الله: هذا لا يرى بيعتنا، فقال: بلى يا أمير المؤمنين، و تعذر له بسوء بصره، إلا أن أحمد تبرا من هذا العذر و قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار، فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه[5]ورأى سحنون الناس يقبلون يد ابن الأغلب، فقال له: لا تعطهم يدك لو كان هذا يقربك إلى الجنة ما سبقونا إليه[6].

و هكذا تمثل دور الفقهاء في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، مع عامة الناس و حتى الحكام و الأمراء، و لم تقتصر على فئة معينة.

2- محاربة البدع:

من بين الأمور التي حاربها الفقهاء البدع ، نظرا للأثر السلبي الذي تعكسه في الأوساط الاجتماعية ، فسعى هؤلاء جاهدين للقضاء عليها و كل ما يؤدي إليها ، و قد أورد لنا كتاب ترتيب المدارك جملة من هذه البدع

---

[1]- نفسه ،ص230.

[2]- نفسه ،ص105.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج06، ص171،172.

[4]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج01، ص 256.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04، ص07.

[6]- نفسه ،ص85.

كظهور حالات من الاستهتار بالدين و قضية خلق القرآن، و خروج النساء خلف الجنائز و الزندقة، سواء في بلاد الأندلس أو المغرب أو المشرق.

فأبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي (ت 145ه/763م) كان من بين الذين حاربوا البدع، فكتب إلى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع، و أنه ألف لهم كلاما في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل أو تهلك،لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عرافا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعوجوا عليه فهذا لا باس به، و أما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ، فيمضوا على خطاه، أو يظفروا منه بشيء فيطفوا و يزدادوا تماديا على ذلك[1].

و عبد الملك بن الماجشون (ت 214ه/ 830م) الذي كتب رسالة في الإيمان و القدر و الرد على من قال بخلق القرآن و الاستطاعة و قال: بأن القرآن ليس بمخلوق[2]و يقول ابن أبي خيثمة (236ه) لمصعب بن عبد الله:أن هؤلاء يقولون القرآن كلام الله و يقفون فيقولون من قال مخلوق ابتدع ومن قال غير مخلوق ابتدع و يحتجون بك و يزعمون أنك تقول بهذا القول، و أن مالكا يقوله[3]أما أسد بن الفرات (ت 231ه/ 846م) كان ثقة لم يزن ببدعة،و لما عرض التفسير للآية " **فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى"** [4]فقال أسد: ويحُ أهل البدع، هلكت هو هوالكهم ، يزعمون أن الله تعالى خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق (أنني أنا الله) [5]و في موقف آخر له أنه حدث أسد يوما بحديث الرؤية، و سليمان الفراء المعتزلي في آخر المجلس فأنكر الرؤية فسمعه أسد فقام إليه و جمع بين طوقيه و لحيته، و استقبله فضربه حتى أدماه،و طرده من مجلسه[6].

احتكم رجلان إلى يعقوب بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن (ت 213ه/ 829م) عن مسألة القرآن فقال أحدهما: أن القرآن مخلوق، و قال الآخر:ليس مخلوق ، و قال لهم: قول أهل بلدي لو أخذوكما لأوجعوكما ضربا[7]و أبو إسحاق الجبنياني (ت 369ه/1040م) فسأل الله أن يبين له أهل البدع و المحدثين

---

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج03 ، ص110.

[2]- نفسه ،ص140 ،141.

[3]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج03 ،ص171 .

[4]- سورة طه ، الآية 12،13.

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص 301.

[6]- نفسه،ص 301،302.

[7]- نفسه ،ج04 ،ص04 .

في الدين، فكان ربما لقيه قوم فيسلم على بعضهم و يتفرس في آخرين فراسة سوء، فيقف من السلام عليهم فيكشف عنهم فيوجدون عن ضلالة[1].

و هناك الكثير من الفقهاء الذين حاربوا هذه البدع أمثال عبد الله التستري (ت 345ه/984م)[2] و أبو عمر الطلمنكي (ت 429ه/1038م)[3]الذي كان سيفا على أهل البدع[4] قامعا لهم غيورا على الشريعة[5]و أبو الحسن الكانشي (ت 347ه/ 986م) كان مجانبا لأهل الأهواء و من يخالف مذهب أهل المدينة[6] و أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي (ت 356ه/968م) مبابيا لأهل البدع شديد الغلظة عليهم قليل المداراة لهم[7]و عبد الرحمن بن عيسى بن محمد (ت 363ه/ 974م) كان شديدا على أهل الأهواء [8].

أما أبو الحسن الأشعري المتكلم (ت 334ه/ 946م)[9] صنف التصانيف لإثبات السنة و ما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى و رؤيته و قدم كلامه و قدرته، و أمور السمع الواردة من الصراط و الميزان و الشفاعة و الحوض و فتنة القبر التي نفت المعتزلة، و دفع شبه المبتدعة و من بعدهم من الملحدة و الرافضة، فقيل له: لما تخالط أهل البدع و قد أمرت بهجرهم فقال: هم أهل الرياسة أو فيهم الوالي و القاضي، فهم لرياستهم لا يترلون إلي، فإن لم نسر إليهم فكيف يظهر الحق و يعلم أن لأهله ناصرا بالحجة[10].

أما الزندقة فكانت هي الأخرى من بين الظواهر التي انتشرت فحاربها الفقهاء و أفتوا فيها بالقتل،فقد استفتى الأمير عبد الملك بن حبيب (ت 238ه/ 853م) في ابن اخى عجب تكلم بعبت من القول في يوم غيم شهد به عليه،فأمر الأمير بجسه فأفتاه ابن حبيب بقتله لأنه زنديق[11].

---

[1]- نفسه ،ج06,ص 234.

[2]- القاضي عياض ، المصدر السابق، ج05، ص 268.

[3]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج01 ، ص 84.

[4]- القاضي ، المصدر السابق ، ج08 ، ص 33.

[5]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج01 ، ص 84.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص41.

[7]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص 56.

[8]- نفسه ، ج07 ، ص 28.

[9]- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج03 ، ص285.

[10]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج05 ، ص24.

[11]- نفسه ،ج04 ،ص 132،132.

أما إسحاق بن إبراهيم بن مسرة (ت 354ه/ 976م) اخذ الحكم أمير المؤمنين برأيه على أبي الخير المسمى بأبي الشر الزنديق فأفتى بقتله فأخذ الحكم برأيه و قتله[1] ، و كذلك أبو إسحاق التونسي (ت 432ه/1041م) فعندما امتحن بقوله بأن بني عبيد زنادقة، و أن الداخل في دعوتهم، و ان لم يقل بقولهم كافر لتوليه الكفرة[2] و استفتى زيادة الله أمير إفريقية أسدا و أبا محرز الكوفي و زكرياء بن الحكم في زنديق،فقال أبو محرز و أسد: يستتاب فإن تاب، و إلا فقتل[3] .

أما عن بدعة خروج النساء خلف الجنائز فقد شدد و منع أبو بكر بعيش بن منذر الأسدي على خروج النساء من باب طليطلة خلف الجنائز كرة[4].

3- التكافل الاجتماعي (صدقات التطوع) :

صدقات التطوع كثيرة الأنواع يدخل فيها جميع وجوه الإنفاق الميراث و الخيرات و الحسنات، و الإسلام بدوره أكد على هذه الصدقات فحث عليها القرآن الكريم لقوله تعالى و قوله: "**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**"[5] وقوله أيضا : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**"[6]و الفقهاء بدورهم لم يتغافلوا عن هذا الأمر العظيم ألا و هو الصدقة في سبيل الله، لكي ينالوا البر و الأجر من الله، و لينشروا هذا العمل الجليل في المجتمعات بين الأغنياء و الفقراء.

و من الفقهاء الذين وردوا في تراجم القاضي عياض و عرفوا بكثرة الصدقات: عبد الله ابن المبارك (ت 181ه/798م)[7]تصدق لامرأة من النفقة و الكسوة و الزاد[8] و محمد بن إدريس الشافعي (ت 204ه/819م)كان كثير التصدق و السخي[9] و عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 226ه/ 842م) جاءه

---

[1]- نفسه ، ج06، ص 128.

[2]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج06، ص60 .

[3]- نفسه ،ج03 ، ص 303.

[4]- نفسه ،ج08 ،ص 33.

[5]- سورة آل عمران ، الآية 92.

[6]- سور ة البقرة ، الآية 267.

[7]- الذهبي ، تذكرة الحفاظ ،ج04،ص274.

[8]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03 نص44.

[9]- نفسه، ص188.

رجل أعلمه أن داره تهدمت و شاوره في بنيانيها و من يبني عنده، فدفع إليه أبي حسان ثلاثين دينارا و قال: استعن بها على بنيانك، و قال له بعض ولده: أتاك يشاورك فأعطيته؟ قال : لست ببناء و إنما تعرض لمعروفي[1].

و كان ليحي بن أزهر أبو عبد الله مولى قريش مال في بيت المال فلما كبر و قبضه، أدى منه أربعمائة أو نحوها في زيادة تلك السنين[2] أما سحنون فكان يتصدق على الرجل الواحد بالمال الذي تجب فيه الزكاة الثلاثين دينارا أو أكثر[3]له قصة أخرى مع الصدقة فيذكر بأنه دفع إلى رجل صُرة دنانير و هو في بيته ثم قال له اذهب أول من تلقاه فادفعها إليه، فجعل الرجل يتخلل الأزقة إذا برجل عليه ثوب أبيض و تحته شيء يحمله ألقى إليه صرة و لما أخذها ألقى الذي بيده و قال: هي ميتة كانت حلالنا فحرمت الآن علينا [4] أما ابنه محمد بن سحنون (ت 256ه/ 871م) كان من أطوع الناس جوادا بماله و جاهه،و يصل من قصده بالعشرات من الدنانير و و يكتب لمن يعني به إلى الكور، فيعطي الأموال الجسيمة[5] .

أما القاضي أبو عمر فاحتكم إليه رجلان، فطالبه خصمه بمائة دينار، فألزم القاضي المدعى عليه اليمين إذ لم تكن للآخر بيته،فأخذ الخصم الداواة فكتب:

و أنا لذو حلـــــــــف جابـــــــــر
إذا ما اضطررت و في الحال ضيق

و هل من جناح على معسر
يدفـــــــــــع بالله مـــــــــا لا
يطيـــــــــــق

فأمر القاضي بإحضار مائة دينار فدفعها عنه[6]، أما أبو الحسن الكانشي (ت347ه/ 986م) كان له خمس سوان باعها واحدة واحدة، و ما باع منها واحدة بأقل من خمسين دينارا و مائة، و أنفقها على

1- نفسه ،ص313.
2- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج03، ص64.
3- نفسه ،ج04، ص80 .
4- نفسه ، ص80.
5- القاضي عياض،المصدر السابق، ج04 ، ص211،212.
6- نفسه ،ج05،ص09،08.

المساكين، و كان يعطي منها الخمسة و العشرة، و الخمسة عشر،و أقل ما كان يعطي دينارا،و يقول: يجئ رجل أخر يسأله ما يسد به حاله،فيعطيه قراطا أعوذ بالله من دناءة الأمور[1].

و أحمد بن مطروف(ت 324ه/936م) كانت صدقات الحكم تجرى على يديه، فكان لا يعطي منها الدهاقين الذين أعدوها مكسبة،و يؤثرها أهل العفة و التستر[2].

و هناك من الفقهاء الذين كانوا ينفقون صدقاتهم على طلبة العلم كأبو بكر الأبهري(ت 375ه/ 986م) كان سخيا ، و شديد المواساة لطلبة العلم و من يرد عليه من الغرباء منه،يعطيهم الدراهم و يكسوهم،و كان لا يخلى من كيس فيه مال،فكل ما يرد عليه من الغرباء يغرف له غرفة بلا وزن، فسأل عن سبب عيشه فقال: كان رؤساء بغداد لا يموت أحد منهم إلا وصى لي بجزء من ماله، و لو كنت ممن يريد الجمع، لكان معي فوق الثلاثين ألف مثقال[3]أما عيسى يحي بن عبد الله (ت 367ه/978م) كان يطعم الطلبة إذا أتم مجلس مناظراته من ثمار بستانه و ينتظم الأكل، فإذا فضل شيء دفعه إلى الغرباء يحملونه إلى منازلهم و قال لهم : تستعينون به في ادامكم[4] ووصف أحد تلاميذ الفقيه الطليطلي أبي عمر أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري فقال:" كنت آتي إليه من قلعة رباح و غيري من المشرق و كنا نيفا على أربعين تلميذا فكنا ندخل في داره في شهر نونبر و دجنبر و ينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات، و الحيطان باللبود من كل حول، و وسائد الصوف، و في وسطه كانون في طول قامة الإنسان مملوءا فحما يأخذ دفئه كل من في المجلس، فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعا و قدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت[5]العذب، و أيام ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد، فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها... فكان ذلك منه كرما و جودا و فخرا لم يسبقه احد من فقهاء طليطلة إلى تلك المكرمة[6] .

و من الفقهاء من تصدق بالطعام كعبد الرحمن بن عيسى بن محمد (ت 363ه/ 974م) و كان يأكل من عشائه المسكين و المساكين كل ليلة، حتى كان أهله يقولون له ليس ثم مرق ما تدم به كل من جاء،

---

[1]- نفسه ،ج06 ، ص 47.

[2]- نفسه ،ص 135،136.

[3]- نفسه ، ص 186.

[4]-القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج06, ص 109.

[5]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج01 ، ص72،73.

[6]- نفسه ، ج01 ، ص72، 73.

فيقول:ألم يكن معك الماء فتكثرين من المرق لنعم من جاء[1]و أبو غالبا تمام بن عبد الله بن تمام بن غالب المعافري (ت 377ه/ 988م) كان متواضعا يقصد المرضى و يتعاهدهم بالطعام[2].

و الصدقات المادية لم تكن حكرا على الفقهاء الأغنياء فقط بل حتى الفقراء منهم بإمكانهم الصدقة فهذا الفقيه محمد بن إسحاق بن السليم قد بلغ من التقشف و طلب الحلال أنه كان يصيد السمك بنهر قرطبة و يبيع صيده فيأخذ ما يقتات به و يتصدق بالباقي [3] و يحي بن عمر عند ما عزل عن القضاء و أعزم على الرجوع إلى إشبيلية فرق كل ما يملك على الفقراء، و كانت كمية من الدقيق و حصيرا وآنية ثم رحل[4].

تعددت مشارب الصدقات فلم تقتصر على الجانب المادي فقط بل تعدت ذلك لتشمل الجانب المعنوي أيضا، فالكلمة الطيبة و المواساة و قضاء حوائج الناس و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كلها صدقات، من الفقهاء الذين مارسوا كل هذا محمد بن أحمد بن يونس أبو البشر (ت 331ه/943م) كان يخرج إلى أهل الضر و البلاء، فيسليهم، و يهون عليهم،و يرغبهم فيما لهم عند الله، فلا ينصرف عنهم إلا و قد هان عليهم ما يقاسونه لما يرجون من ثواب الله[5]أما أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون بن عبد الرحمن الأنصاري (ت 413ه/1023م) يختلط بالفقراء و المساكين و المواساة بالقليل و الرضا عن الله و التذكر لبلائه[6]

و أبو بكر محمد بن ابي القاسم اللبيدي كان مبادرا القضاء حوائج الناس مكارما لهم[7] و القاضي الإمام أبو عبد الله بن عيسى (ت 505ه/1112م) و كان مهتما بالكبير من أصحابهو الصغير، كثير السؤال عنهم،و العيادة لمرضاهم و المواساة لهم[8].

3- معاملة فقهاء المالكية لغير المسلمين:

[1]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج07 ، ص 28.
[2]- نفسه ،ص32.
[3]- ابن فرحون ، المصدر السابق ، ج04، ص360 .
[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج04 ، ص360.
[5]- القاضي عياض ،المصدر السابق ، ج06 ، ص 21.
[6]- نفسه ،ج07 ، ص293.
[7]- نفسه ،ج08، ص69.
[8]- نفسه ، ص200، 201.

النصارى و اليهود هم أهل الكتاب أو أهل الذمة ، و هم الرعايا غير المسلمين، و الذمة ، عهد يشمل الضمان و الحق و الأمان، و هذا العهد يتطلب الوفاء[1] مصداقا لقوله تعالى:

" **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ**"[2] و قوله أيضا: **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**"[3]و أوصى لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الفئة و قال:" من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة و إن ريحها توجد من ميسرة أربعين عاما[4] كما ضمن للإسلام لأهل الذمة حقوق كرحمة الدم و المالو العرضو الحق في العمل و التجارة[5].

و الفقهاء بدورهم حافظوا على هذا العهد و رعوهم و دافعوا عن حقوقهم، و من مظاهر تعامل الفقهاء اجتماعيا مع أهل الذمة فهذا أحمد بن المطرف (ت 356ه/ 968م) لما مرض عاده حسراني الكاتب اليهودي،فلما استأذن عليه انزعج الشيخ لذلك و تقدم فقلب فرش بيته و كشف الطريق إليه، و دعا بدفة باب الكنيف ووضعت بين يديه ليجلس عليها، وأبطأ عن اليهودي الإذن فلما دخل و رأى الهيئة حدس بفطنته على ما أراده فتوقف عن دخول البيت و اكتفى بالسؤال و الدعاء إظهار الإعظام الشيخ ثم انصرف و لم يستجلسه[6] أما طالوت بن عبد الجبار المعافري و هو صاحب القصة المشهورة المضروب بها المثل في الوفاء للذمة و كان طالوت قد استخفى خوفا على نفسه عند رجل من اليهود من جيرانه و وثق به، فتقبله أحسن قبول، و مكث عنده بأفضل حال حولا،حتى طفئت النائرة، و ظن الفقيه أنه أمل اليهودي[7]، و أبو إسحاق ابن إبراهيم بن مسرة شاوره صاحب الرد في أصحاب السوق يلتزمون الصلاة في دكاكينهم بإمام، و يتثاقلون عن حضور المساجد، و أن أكثر ذباحي اليهودي، فأفتى بالمنع من جميع ذلك و بإخراج اليهود من مجازر المسلمين[8].

---

[1]- عبد العزيز حاج كولة ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 05 ه ، 06ه / 11م ، 12م، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2009م/2010م, ص56.

[2]- سورة النحل ، الآية 91.

[3]- سورة الممتحنة ، الآية 08 .

[4]- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، تح : محمد ناصر الدين الألباني ،ط01. مكتبة المعارف ، الرياض ، ،دس ، ص456.

[5]- ادوارد غلي الذهبي ، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ط1، مكتبة غريب ،القاهرة ،1993م ، ص100،93.

[6]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06 ،ص137.

[7]- نفسه ، ج03، ص340.

[8]- نفسه ،ج06 ، ص131,

و قد أجاز الفقهاء لأهل الذمة مشاركة المسكين في صلاة الاستسقاء لغرض الدعاء فقط [1] و دافع الفقهاء عن حقوق أهل الذمة، من ذلك ما وقفه قاضي الجماعة سليمان بن أسود في قضية طرحت عليه فحفظ لورثة رجل من أهل الذمة حقهم في ماله و قسمه بينهم بالرغم من المحاولات و الضغوط التي تعرض لها القاضي من اجل مصادرة امواله[2] و قصته كذلك لما كان قاضيا على ماردة، حيث رفع إليه احد اليهود في المدينة مظلمة يشكو فيها غلمان الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي كان آنذاك أميرا على مدينة ماردة، بأنهم اختلسوا منه الأمير جارية من جواريه، فما كان من القاضي إلا أن أوصل مظلمته إلى الأمير محمد و قبح له سوء الأحدوثة و سأله دفع الجارية إلى صاحبها، و عندما أنكرها الأمير هدده القاضي بأخبار أبيه، فكما تأكد الأمير من صدق نيته رد الجارية على اليهودي[3].

و حافظو أيضا على أموال معابدهم، فعندما مجمع ابن أبي عامر الفقهاء و استشارهم على بعض كنائس أهل الذمة أراد شراءها منه جماعة الفقهاء منها إلا واحدا منهم فقد أفتا بجوازه و احتج لذلك [4] أبو عبد محمد بن عبد العزيز بن يحي (ت 372ه/983م) كان له جار من النصارى من وجوه الخدمة يقضي حوائجه، و متى مر بدار الشيخ و قف به، فيهش إليه الشيخ و يدعو له بأن يقول له: أبقاك الله وتولاك، اقر الله عينيك، يسرني ما يسرك جعل الله يومي قبل يومك لا يزيد على هؤلاء الكلمات ، و النصراني يبتلج لذلك فعوتب الشيخ في ذلك فقال: إنما هي معاريض عرف الله نيتي بها [5].

[1]- خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ، ص230.

[2]- نفسه ، ص230.

[3]- خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجع السابق ن ص230.

[4]- القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج06، ص165.

[5]-القاضي عياض ،المصدر السابق ، ج06، ص 304.

خاتمة

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية :

– إن القاضي عياض هو أحد كبار مشاهير أعلام الأمة من العلماء العلمين النجباء ، وسادها الفضلاء الأتقياء الذين استفاضت المعرفة بعلمهم وفضلهم واشتهار ذكرهم وسمو مكانتهم وقد بلغت شهرته آفاق المغرب والمشرق ، ولا يبعد أن يقال إنه أشهر علماء المغرب على الإطلاق ، لا يكاد يدانيه في ذلك إلا آحاد منهم ، حتى قيل في حقه " لولا عياض ما عرف المغرب" .

– ولد أبو الفضل في مدينة سبتة ببلاد المغرب الأقصى في النصف من شعبان سنة 476ه ، ترعرع وأخذ العلم عن علمائها .

– رحل القاضي عياض إلى الأندلس لطلب العلم وفي طريقه قصد الكثير من المحطات أولها قرطبة ثم مرسية ثم ألمرية وإشبيلية وغيرها من المحطات ، وأخذ عن الكثير من علمائها .

– تلقى القاضي عياض العلم عن العديد من الشيوخ إجازة وسماعا ، سواء من علماء بلده الأم ، أو من الأندلس ، وحتى من الوافدين من المشرق كشيخه المشهور أبي علي الصدفي ، ولعياض شيوخ يزيد عددهم عن المائة شيخ ذكرها في كتابه الغنية.

– تولى عياض القضاء ببلده سبتة ، ثم نقل إلى غرناطة ، ثم تولى سبتة للمرة الثانية ، وبعد دخول الموحدين تولى قضاء قرية داي مرغما.

– للقاضي عياض عدة مؤلفات منها الموجودة والمخطوطة والمفقودة ، منها: كتاب الشفا الذي طار صيته في مشارق الأرض ومغاربها، وكتاب التراجم ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الذي هو محل دراستنا.

– تميزت الحياة الاجتماعية للفقهاء فيما يتعلق بالجانب الأسري كغيرها من الفئات ، بحيث اهتموا بتأسيس الأسرة عن طريق الزواج وإنجاب الأبناء ، وبين عياض الصفات التي جاء عليها هذا الأخير .

– جمعت بين الفقهاء وأبنائهم علاقة مودة ومحبة ،وتوارث العلم عنهم خاصة ، فقد تحدث الكتاب أن العديد من الفقهاء أخذوا وروا العلم عن آبائهم وورثوا عنهم حتى المناصب كمنصب القضاء .

كما تحدث عن مأكل وملبس ومسكن الفقهاء ، فمنهم من كان يحب أن يظهر التجمل وأثر النعمة عليه ، ومنهم من كان زاهدا ومتقشفا فيهم اقتداء بالسلف الصالح .

-كان الفقهاء يمتلكون حرفة في أيديهم يقتاتون منها في عيشهم ، حتى وان كانت لهم مناصب في الدولة،

- اكتسب الفقهاء مكانة اجتماعية عالية ومرموقة ،ويظهر ذلك جليا من خلال التفاف جميع طبقات المجتمع حول هذه الفئة ، بداية بمن كان في دائرة الحكم والسلطة الى أدنى طبقة في المجتمع .

- من مظاهر التأثير العلمي على الجانب الاجتماعي تولي الفقهاء مناصب عالية في الدولة كالقضاء والشورى ، والكتابة ، والتوثيق ، والرد والشرطة ، وغيرها من الخطط الأخرى ، وهناك بالمقابل من اعتزل منصب القضاء لأسباب دينية ، وهذه المناصب اكتسبوها بفضل صفاتهم الخلقية ودرجاتهم العلمية .

-امتحن الكثير من الفقهاء المالكية لأسباب تختلف من فقيه لآخر .

- تعددت الأدوار الاجتماعية للفقهاء فشكلت بذلك شريحة اجتماعية ذات سند ودعم اجتماعي هائل ، وهذا يرجع إلى الدور الذي اضطلعوا به داخل مجتمعاتهم وحفاظهم على وحدتهم وتجنب شر الفتن والانشقاقات ، فمنحهم العامة الثقة وقصدوهم في حل مشاكلهم الاجتماعية وحتى السلطة الحاكمة لجأت إليهم من خلال الشورى .

-كما برز الدور المتميز للفقهاء من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحرص الشديد عن المصالح العامة لأبناء المجتمع ومحاربة الآفات الاجتماعية .

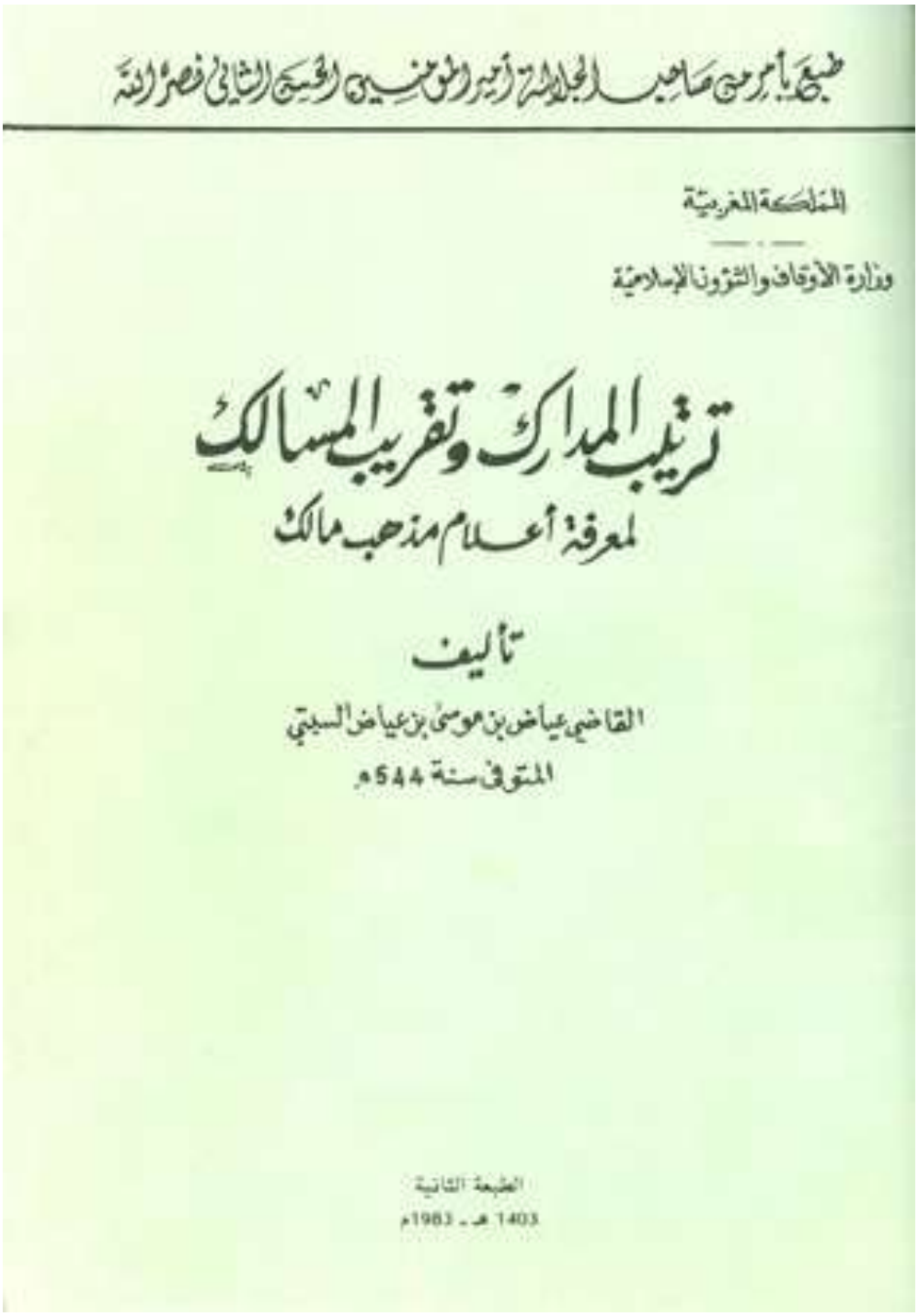
- حارب الفقهاء المالكية الكثير من البدع كظهور الزندقة وقضية خلق القرآن ، وخروج النساء خلف الجنائز .

- عظمت مكانة الفقهاء من خلال تحليهم في المساهمة الأعمال الخيرية ، من خلال صدقاتهم وتطوعهم لعامة الناس بأموال والطعام ، وحتى الكلمة الطيبة كان لها دور في الحياة الاجتماعية .

- كما لم يتغافل الفقهاء عن رعاية أهل الذمة ، والاهتمام بهم ، والحفاظ على حقوقهم التي منحها لهم الإسلام .

– وبهذا يعتبر الفقهاء ورثة الأنبياء ، فخدموا مجتمعاتهم من أدوارهم ومكانتهم الاجتماعية التي اكتسبوها من العامة والخاصة .

ملاحـــــــــــق


طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ترتيب المدارك وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

تأليف

القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي

المتوفى سنة 544هـ

الطبعة الثانية

1403 هـ - 1983م

ملحق رقم (**01**) : واجهة كتاب ترتيب المدارك .

كتب الحديث	كتب فقهية	كتب السيرة النبوية	كتب التاريخ	كتب الأدبية
1. إكمال المعلم بفوائد مسلم 2. الإجماع في ضبط الرواية وتقييد السماع 3. بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد 4. مشارق الأنوار على صحيح الأثار	1. الأجوبة المحيرة على المسائل المتخيرة 2. الأجوبة فيما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام 3. الإعلام بحدوث قواعد الإسلام 4. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك 5. التنبيهات المستنبطة على المدونات المختلطة 6. كتاب السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول 7. كتاب العقيدة 8. مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور 9. مطامح الأفهام في شرح الأحكام 10. نظم البرهان على صحة جزم الأذان	1. اختصار شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم 2. الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم	1. أخبار القرطبيين 2. تاريخ المرابطين 3. الجامع في التاريخ 4. العيون الستة في أخبار ستة 5. المعجم في ذكر أبي على الصدفي وأخباره وشيوخه وأخبارهم 6. أخبار العلويين 7. تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض 8. المعجم في شيوخ أبي سكرة 9. جمهرة رواق مالك 10. الغنية(في أسماء شيوخه)	1. كتاب التنبيهات 2. كتاب خطبه 3. سر السراة في آداب القضاة 4. كتاب سؤولات والترسيل 5. غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل 6. غريب الشهاب 7. كتاب القواعد 8. المقاصد الحسان

ملحق رقم (02) : يبين أبرز مؤلفات القاضي عياض .

الحمدُ (210) لله الذى سبقَ كلَّ شيءٍ (211) قِدَماً ، ووسِع كلّ شيءٍ رَحمةٌ وعِلماً ونعَماً ، وهدَى أولياءَهُ طريقا نهجا أمما ، « وأنزل على عبده الكتابَ ولم يجعل له عوجا قيما ، لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثينَ فيه أبدا » . أحمده على مواهبه وهو أحقّ من حمد ، وأسئله أن يجعلنا أجمع ممن حظى برضاه وسعِد ، وأستعينه على طاعته وهو أعز من استعين واستنجد ، واستهديه توفيقا فان « من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » وأشهد أن لا الاه الا الله وحده لا شريك له شهادة فاتحة لاقفال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا منزهة له عن التشبيه
(100) والتمثيل بنا ، « وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ (*) صاحبة ولا ولدا» وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أنزل عليه الفرقان ، وبعثه بالهدى والايمان ، وأخزى بدعوته دعوةَ أولياء الشياطين وأبعدهم عن مقاعد السمع « فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا » أيها اضطلِمَوا ، « وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلِكِهم مَوْعِدا » غرَّهم الأمل وكواذبُ الظُّنون ، وذهِلوا عن طوارق الغِيَر ورَيْب المنون ، « وظنُّوا أنهم إلينا لا يَرْجِعُون حتّى إذا رَأَوا ما يُوعَدون فسيعلمون مَنْ أضعفُ ناصِراً وأقلّ عدداً » فهذّبوا رحمكم الله سرائرَكم بتقوى الله وأخلِصوا،واشكروا نعمته ، « وإن
(102) تعُدُّوا نعمةَ الله لا تُحْصُوها » (*) واحذَروا نقمته ولا تعتَصُوا (213) ، واعتبروا بوعيدِه « قلْ كل متربِّصٌ فتربّصُوا ، فستعلمونَ مَن أصحابُ الصِّراطِ السوي ومَن اهتدى » وأنهِضوا لطاعتِهِ هذه الهِمَم العاجزة ، واركُضوا في ميدان التقوى تحوُزوا قصَب خَصْلِه الفائزة ، وادَّخِروا ما يخلّصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله : « ويومَ نُسيِّر الجبالَ وتَرى الأرض بارزةً وحشرناهم فلم نغادِرْ منهم أحداً » ذلك يوم تُذهَلُ فيه الألباب وتَرجُف القلوبُ رجفاً وتُبدّل الأرض وتُنسف الجبال نسْفاً ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا حرفا « وحشر المجرمون يومئذ زُرْقاً وعُرِضوا على ربِّك صفّاً لقد جئتمونا فُرَادى كما خلقناكم أوّلَ مرَّة بل زَعمتم أن لن نجعلَ لكم مَوْعداً » . إن أحسنَ الهدْى ، هَدْىُ محمد نبيّنا وأصحابه وأفضل الذكر ، ذكر الله

ملحق رقم (03) : من خطب القاضي عياض

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا : المصادر

1- القرآن الكريم

2- كتب التراجم و الطبقات:

1. ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الشافعي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تح:عبد القادر الأرناؤوط ،ومحمود الأرناؤوط ،ط01،دار ابن كثير ،دمشق ، 1407ه/1988م ،مج03.
2. ابن الوليد عبد الله بن محمد أحمد ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، تح: بشار غوار معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429/ 2008م ، مج1.
3. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النـــور، دار التراث ،د ط، القاهرة ، ج 2
4. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مطبعة فضلة، المحمدية، المغرب، ج1،ج2،ج3،ج4،ج5،ج6،ج7،ج8.
5. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ، تح: ماهر زهير جرار،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1402ه/1982م، ص157.
6. أبي إسحاق الشيرازي الشافعي ، طبقات الفقهاء ، تح: إحسان عباس ، د ط ، دار الرائد العربي ، بيروت ،
7. أبي القاسم ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبـــائهم، تـــح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط 1، 1410ه/1989م، مج2،
8. أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس في طبقات علمـــاء القـــيروان وإفريقيـــة وزهـــادهم ومساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم،تح: بشير البكوش، محمد العروسي المطـــوي، ط2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1994م، ، ج1.
9. أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تح: عزت العطار الحسيني، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـــ/1994م

10. أبي نصر الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان، قلائد العقيان و محاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة منار، الاردن، 1409ه/1979م.

11. الذهبي، تذكرة الحفاظ، دط ، دار الكتب العلمية ,بيروت ,1377ه/1958م، ج04 .

12. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح :شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي،ط01، الرسالة، ،بيروت ، 1405ه/1985م، ج 20.

13. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ،فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ،تح :إحسان عباس ، ط02،دار الغرب الإسلامي بيروت، ،1402ه/1982م.

14. محمد بن الحارث الخشني ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، تح :ماريا لويسا آبيلا ولويس موليا ، دط ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1992م.

3- كتب التاريخ :

1. أبي العباس أحمد بن محمد بن العذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تح : إحسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت، ط1983،03م

2. أبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دط ، دار المنصور،الرباط ،1971م.

3. أبي عبد الله محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، ط2، مطبعة فضالة، المغرب، 1982م.

4. أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426ه/2006م.

5. ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1397ه/1977م، مج4،

6. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: إبراهيم الابياري وآخرون، مطبعة فضالة للنشر، د ط، الرباط1398، ه/1978م، ج 1، ج2، ج3، ج4.

7. عبد الرحمان بن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،تح : خليل شحادة ،سهيل زكار ،دار الفكر ،بيروت ،دط، 1421ه/2000م،ج06

8. علي ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور ، الرباط ،دط ،1972م

9. محمد بن القاسم الانصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، الرباط، 1403ه/1983م .

10.مؤلف مجهول ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح : سهيل زكار ،عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط01، 1399ه/1979م.

4- كتب الجغرافيا:

1. شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ،معجم البلدان ،دط، دار صادر ،بيروت، ج 01،ج02، ج03، ج04، ج05.

2. محمد بن عبد المنعم الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح:إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1، 1975 .

3. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، تح: سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، د.م.ن ، د.س .

كتب الفقه :

1. ابن عبد البر ، صحيح جامع بيان العلم وفضله ، تح: أبو الأشبال الزهيري ، دط ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة

2. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، تح:يحي إسماعيل، ط 1 ، دار الوفاء ، المنصورة ، 1419ه / 1998م ،ج1.

3. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح : عبده علي كوشك، ط1، جائزة دبي الدولية للقران الكريم، 1434ه/2013م.

5- المعاجم:

1. انقرة رجب جواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط1 ، دار الأفاق، القاهرة.

2. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ،تح:علي هلالي ، مطبعة حكومة الكويت ط2 ، 1407ه/ 1987م ،ج2

المراجع:

1. ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب و الاندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الاولياء، دط، دار الطليعة، 2000م.

2. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،تح: جعفر الناصري ، محمد الناصري ،دط ،دار الكتاب ،الدار البيضاء 1904م

3. أحمد جمال العمري، السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1988م

4. أحمد عبد الحليم إبن تيمية، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر،تع،صلاح الدين المنجد، ط 1، دار الكتاب الجديد،بيروت، 1396ه – 1976 م.

5. أحمد مختار العبادي و آخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دط ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة،1996م.

6. إدوارد عالي الذهبي، معاملة غير المسلين في المجتمع الإسلامي، ط 1، مكتبة غريب، القاهرة1993.

7. انقرة رجب جواد ابراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط1 ، دار الافاق، القاهرة.

8. البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية،ط1، دار ابن حزم،بيروت، 1418ه/1997م، ص96.

9. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجر بين (9-10 ه) ،دط ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

10.حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،تح: الغنى محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيك الكليسي ،دار إحياء التراث العربي ،،بيروت،دط.

11.حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني الثقافي والاجتماعي ، ط14 ، دار الجيل ، بيروت ، 1416ه/1992م ، ج1.

12.حسن الوراكلي ، ابو الفضل القاضي عياض (ثبت ببيليوجرافي)،دط،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان،1994م.

13.حسين بن محمد شواط ،منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم ،ط1،دار ابن عفان ،السعودية ،1414ه/1993م.

14.الحسين بن محمد شواط، القاضي عياض عالم المغرب و امام اهل الحديث في وقته، ط1، دار القلم، دمشق، 1419ه/1999م.

15.حسين علي حسين ،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ،مكتبة الخانجي مصر ط01، 1980م

16.حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138ه ، 422 ه / 755م ، 1030 م ، ط 1، مطبعة الحسين الإسلامية ، الإسكندرية ، 1414ه / 1994م.

17.خليل إبراهيم الكبيسي ، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة ط1 ، 1425ه/ 2004م ، بيروت

18.رسالة إبن عبدون،ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المُحتَسب، تع ليفي برفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،1955، مج2.

19.عبد الرحمن علي الحجي ، دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي ، ط1، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، أبوظبي ،1428ه/2007م.

20.عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط 1، دار الشرق ، بيروت ، 1403ه/1983 م.

21.عصمت عبد اللطيف دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، عصر الطوائف الثاني ، 510ه – 546ه/ 1116م – 1151م ،تاريخ سياسي وحضارة ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1408 ه / 1988م.

22.علي محمد الصلابي ، دولة الموحدين ، د ط ، دار البيارق ، عمان ، 1998 م ، ج 5.

23.علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ،ط3،دار المعرفة ،بيروت،لبنان 1430ه/2009م.

24.محمد بن حسن شرحبيلي ، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي ، دط ، مطبعة الفضالة ، المحمدية (المغرب) ، 1421ه /2000.

25.محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس ،القسم الأول ن العصر الثالث ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ط1411،02ه/1990م.

26.مصطفى الشكعة، المغرب و الأندلس، آفاق إسلامية و حضارة إنسانية و مباحث أدبية، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1407ه/1987م.

27.نبيل بن محمد بن محمود،العلماء بين المحن و الابتلاءات ،ط2،الدار العالمية للنشر و التوزيع ،مصر 1432ه/2011م.

الرسائل الجامعية :

1. حكيم باشا ،القاضي عياض وجهوده العقدية في مبحث الإلهيات والنبوات ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في العلوم الإسلامية ،تخصص عقيدة ،كلية العلوم الإسلامية ،قسم العقائد والأديان ، جامعة الجزائر ،2009م/2010م.

2. عبد العزيز حاج كولة، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القريتين 5-6ه / 11-12م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009-2010م.

3. علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الموصل، 1424هـ/2003م.

4. غسان أحمد عبد الرحمان ،القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة ، بحث مقدم لنيل الدرجة العالمية العالية (دكتوراه) رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، حسن العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1414ه/1994م.

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
شكر	-
إهداء	-
مقدمة	أ ... ز
المبحث الأول :التعريف بالقاضي عياض وكتابه ترتيب المدارك .	35.9
أولا : ترجمة القاضي عياض .	28.9
- نسبه و نشأته .	10.9
-مولده ووفاته.	10
- نشاطه العلمي .	12.11
-رحلاته.	14.13
-شيوخه.	17.15
-تلاميذه.	19.18
-القاضي عياض الأديب.	20.19
-مؤلفاته.	21.20
- عياض قاضيا .	22,21
- عصره ومحنته .	28،22
-عصره في دولة المرابطين.	25.22
-عصره في دولة الموحدين.	26.25
-محنته.	28.26
ثانيا : دراسة كتاب ترتيب المدارك .	35،28
- الدراسة الظاهرية للكتاب .	29،28
- محتوى الكتاب .	31،29
- منهجه.	32.31
- مصادره.	34.32

– أهمية الكتاب في الدراسة التاريخية	35.34
المبحث الثاني : مظاهر الحياة الاجتماعية للفقهاء .	63.37
أولا : الحياة الأسرية .	44.37
أ– الزواج .	40.37
ب– علاقة الفقهاء بأبنائهم .	44.40
ثانيا : أسلوب المعيشة للفقهاء .	57.44
أ– اللباس .	48.44
ب– الأكل .	51.48
ت– الحرف والصناعات .	54.52
ثالثا : المكانة الاجتماعية للفقهاء.	63.57
أ– مكانتهم عند الحكام .	59.57
ب– مكانتهم عند العامة .	59
ج– مظاهر التأثير العلمي على الجانب الاجتماعي.	63.59
–القضاء.	61.60
–الشورى.	62.61
–الكتابة والتوثيق.	63.62
د– محنهم	63
المبحث الثالث: دور الفقهاء في الحياة الإجتماعية .	93.66
أولا: النشاط التعليمي.	72.66
–التدريس.	72.66
–المناظرات العلمية.	74.72
–الرحلات العلمية.	79.74
–التأليف .	83.80
ثانيا : دور الفقهاء في الحياة العامة .	83
أ– الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.	85.83

ب- محاربة البدع.	87.85
ت- التكافل الاجتماعي (صدقات التطوع .)	91.88
ثالثا : معاملة فقهاء المالكية لغير المسلمين.	93.91
خاتمة	96.95
الملاحق	100.98
قائمة المصادر المراجع	107.102
الفهرس	111.109